الشيعة[1]

نشأة الشيعة :

الشيعة لغة الصحب والأتباع، وفي عرف الفقهاء والمتكلمين هم أنصار علي بن أبي طالب ﷺ وبنيه من بعده المتحمسون للدفاع عنهم، والعمل على إسناد الخلافة إليهم.

وقد بدأ التشيع جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا مخلصين في حبهم لعلي كرم الله وجهه، من أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ فهؤلاء كانوا ينصرون علياً ويرون أنه أحق الناس بخلافة النبي لصفات رأوها فيه، ولأن الخلافة في رأيهم ميراث أدبي أولى به قرابة النبي الأقربين، ولو كان الرسول ﷺ يورث مادياً لورثه هؤلاء والله تعالى يقول: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: 75].

أخذ عدد هؤلاء في الازدياد بعد أن نقم الناس على عثمان أموراً كان الأولى به ألاَّ يقدم عليها، وبعد أن قامت خلافة علي ﷺ تطورت هذه الفكرة التشيعية البسيطة مع الزمن حتى أضحى للتشيع مبادئ معقدة وآراء مختلفة.

هل التشيع فكرة دينية أم سياسية أم عاطفية؟

نستطيع أن نسمي التشيع في أول أمره حزباً من الأحزاب السياسية، فأخذ ينضم إليه المخلصون لمبادئه وغير المخلص ممن له مصلحة في الانضمام إليه أو لقومه مصلحة.

---

(1) راجع في هذا البحث مقالات الإسلاميين للأشعري ج1 ص 55-75 والتبصرة في الدين للأسفراييني من ص 16-26 والملل والنحل للشهرستاني ج1 من ص 108-148 والفرق بين الفرق من ص30-64.

فتشيع كثيرون إيماناً بحق علي وولده في الإمامة، كما تشيع الموالي من الفرس لتبرمهم من تركز النفوذ والسلطان في أيدي العرب الذي حرموهم أيام بني أمية من تقلد الوظائف العامة في الدولة. يضاف إلى هذا أن قلوب الفرس قد أُشربت تعظيم البيت المالك، واعتقدوا أن أفراد هذا البيت أحق الناس بخلافة الرسول ﷺ. فمالوا إلى الشيعة ألد أعداء بني أمية.

اندس في صفوف الشيعة مع هؤلاء بعض من كان يبغي الكيد للإسلام كالسبئية. ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية.

واتخذ هؤلاء وأولئك من حب آل البيت ستاراً ينفثون من ورائه في صدور العامة من المسلمين سمومهم، فتردد بسبب ذلك صدى هذه الديانات القديمة في مبادئ بعض الفرق الشيعية، فزلت بكثير منها القدم، وحادت عن تعاليم الحنيفية السمحاء، وكان ذلك أهم عامل في انقسام الشيعة إلى غلاة متطرفين، يسبغون على الأئمة نوعاً من التقديس، وينعتون من خالفهم بالكفر، وإلى معتدلين يخطئون من خالفهم دون أن يصلوا بهم إلى درجة التكفير، ونستطيع بعد ذلك أن نقسم الشيعة إلى فرقتين رئيستين: الأولى الفرقة البائدة، وهم غلاة الشيعة الذين لا وجود لهم الآن (تقريباً) إلا في عقول البسطاء من العوام، والفرقة الثانية هي المعتدلة، وهي تشكل معظم الشيعة الذين يعيشون بيننا، وتربطنا بهم علاقة التسامح والتآلف والإخلاص لجمع الكلمة ولمّ الشعث. ويا ليت مؤتمرات دينية تعقد بين أئمة الفرق المعتدلة بروح الإخلاص والتسامح لوحدة الصفوف.

ومهما كان من أمر فقد كان الناس في الحكم على التشيع ثلاثة أقسام: هل هو فكرة دينية أو سياسية أو عاطفية؟ ففئة من المسلمين يرون أن التشيع عقيدة دينية خالصة، وهم معظم الشيعة وحججهم في ذلك أحاديث منها قوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[1]. ومنها قوله عليه السلام: أنا المنذر وعلي

(1) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي والحاكم عن بريرة بسند حسن.

الهادي[1]. وما نسب إلى النبي ﷺ من قوله: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وقوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العز[2]. وغير ذلك من الأحاديث، وأكثرها ضعيفة.

ورأى الشيعة في ذلك وصية لعلي بأن يكون أميراً للمؤمنين وإماماً للمسلمين، وعلى ذلك تكون إمامة علي للمسلمين في نظر الشيعة إمامة حتمية يفرضها الدين، وتحتمها العقيدة، ومن هنا ذهب أكثر الشيعة إلى أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة، والشيعة البائدة منهم من يكفر الثلاثة الكرام، وإذا كان النبي ﷺ قد أوصى لعلي، فإن علياً ﷺ قد أوصى للحسن وأوصى الحسن للحسين، وهكذا حسب التسلسل الذي جرى عليه معظم الشيعة خصوصاً (الإمامية).

وأما الذين يذهبون إلى أن التشيع مجرد فكرة سياسية لا تمت إلى الدين بصلة فحججهم كثيرة، منها أن حق الأقربين في وراثة الرئاسة أمر لا يقره الإسلام، والرسول ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ولو شاء الله عز وجل لأبقى للنبي ﷺ ولداً وهو الذي اصطفاه الله تعالى واجتباه.

والذين بايعوا علياً ﷺ بإمارة المؤمنين لم يبايعوه بناء على وصية، ولا لأنه رمز ديني بل لأنهم رأوه أحق المسلمين بولاية أمر المسلمين تماماً كما رأى المسلمون السابقون أحقية أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

إذن؛ فالشيعة لم يكونوا أول الأمر فرقة دينية بل فكرة سياسية تعبر عن رأي سياسي في أن علي بن أبي طالب أحق بالإمامة من معاوية، وكان المسلمون يتفانون في مدى تحمسهم لعلي وانتصارهم له، وإن كانوا جميعاً يؤمنون بأن معاوية لم يكن جاداً حينما غضب وجمع الجموع انتقاماً لقتل عثمان، بل اتخذ هذا القتل ذريعة لتعكير الجو في وجه علي حتى لا يستقر له الأمر، لاسيما وقد نحاه علي عن ولايته، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن علياً ﷺ بريء من دم عثمان.

---

(1) الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف.

(2) الحديث رواه الحاكم في صحيحه من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

وأيضاً كثير من مؤيدي علي المنتصرين له حتى بعد وفاته لم يكن انتصارهم له أكثر من انتصار لفكرة سياسية.

والذين يرون أن التشيع فكرة وجدانية عاطفية، ليس لها علاقة بالعقيدة الدينية، يقولون: إن آل بيت النبي ﷺ يجب علينا حبهم وتكريمهم والتعلق بهم لأنهم أهله وعشيرته وأحبابه، فمن من المسلمين لا يحب فاطمة الزهراء والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة في الجنة. وهما اللذان أدخلا السرور والبهجة على قلب رسول الله ﷺ حينما كانا طفلين صغيرين، يتسلقان كتفيه ويلاعبانه ويداعبانه، فيهش لهما ويطرب ويفرح، لأن محمداً ﷺ كان خير بني الإنسان عاطفة أبوية، فكان إنساناً عظيماً يفيض قلبه بالحب ويفعم بالحنان.

فإذا ما نظرنا إلى ما حل بأهل البيت الكريم، برجاله ونسائه وأطفاله من تعذيب وتشريد وتقتيل، وهم عترة النبي وآل بيته وأحب الناس إليه، كان علينا أن نتعلق بهم حباً وشفقة ورحمة، فقد لقوا من الاضطهاد في عصر الأمويين ما أسال دماءهم الطاهرة الزكية، وشرد أطفالهم الأبرياء وأذل نساءهم الطاهرات المحصنات.

ولم يقف الاضطهاد بذهاب الأمويين وفناء دولتهم، بل إن ما لقوه من أبناء عمومتهم من العباسيين لأشد وأنكى من تعذيب وتشريد، هذه المحن التي حلت بآل البيت قد جعلت كثيراً من المسلمين يتشيعون لهم ويتعصبون تشيع عاطفة وحب لا تشيع عقيدة دينية ترتكز على مبادئ وقواعد معينة.

أشهر الفرق الشيعية

نبدأ بالفرق البائدة التي لا وجود لها اليوم تقريباً إلاَّ في عقول بعض البسطاء، لأنها وجدت في أوائل تاريخ الشيعة فنقول:

1 - السبئية [1]:

هم أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي من يهود صنعاء، دسه اليهود (بعد أن

(1) راجع ص 16 من هذا الكتاب واقرأ ما قاله المقريزي في ابن سبأ هذا، تعلم أنه مدسوس على الإسلام والمسلمين.

انهزموا حرباً) ليفسدوا على المسلمين دينهم، فأظهر إسلامه واتخذ التشيع لعلي ﷺ وسيلة إلى تحقيق هدفه، فكان من أكبر المشاغبين على عثمان، وقد دس على البسطاء قوله ناسباً للرسول: (إن لكل نبي وصي ووصي آل محمد علي) وقال: فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه. مردداً في ذلك ما يعتقده اليهود من أن يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام، وجعل ابن سبأ يجول في الأمصار (ينفث)[1] سمومه، فأخذ الولاة يطاردونه من مصر إلى مصر، في البصرة والكوفة ودمشق، حتى استقر به المقام في الفسطاط من مصر، فاتخذها مزرعة لتعاليمه الخبيثة، وجعل أهلها يعتقدون أن عثمان قد اغتصب حق الولاية في الخلافة، وجعل ابن سبأ ينال علانية من عثمان وولاته، حتى اشتعلت الأرض بنيران فتنة صماء عمياء بكماء، كان أول ضحاياها أمير المؤمنين عثمان ﷺ.

كان ابن السوداء (ابن سبأ)[2] أول من أظهر القول بالنص على إمامة علي ﷺ، ومنه تشعبت أصناف الغلاة (البائدة) من الشيعة لأنه لم يقف عند هذا الحد في علي[3] بل زعم أنه كان نبياً ثم ازداد في غلوه حتى ادعى أنه قد حصل فيه جزء إلهي، وتبعه على ذلك قوم من الكوفة، رفع أمرهم إلى أمير المؤمنين (علي) فقتل جماعة منهم وأحرقهم بالنار، ونفى ابن سبأ إلى المدائن حيث افتتن به الرعاع هناك، وبلغ من سخافة أولئك أن قالوا: الآن علمنا على الحقيقة أنه الإله، لأن النبي ﷺ يقول: لا يعذب بالنار إلاَّ رب النار[4].

وكان من ضلالات ابن سبأ التي كان يبثها قوله: العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمداً يرجع، ناقلاً تلك الفكرة عن اليهودية التي يدينون بها من قبل، فمن تعاليمها: (إن نبي الله الياس صعد إلى السماء وسيعود فيعود الدين والقانون).

ولما بلغ ابن سبأ نعي علي ﷺ تحول عن القول برجعة النبي ﷺ إلى القول برجعة علي،

---

(1) النفث شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل.

(2) راجع الملل والنحل للشهرستاني ج1 ص 366.

(3) راجع الفرق بين الفرق ص 223 واعتقادات فرق المسلمين للرازي ص 57.

(4) يظهر أنه كان لذع في النار لا إحراق تام، راجع في ذلك كتاب الفرق الإسلامية للدكتور محمود محمد زيادة.

وقال للناعي: كذبت لو جئتنا بدماغه في صرة، وأقمت على موته سبعين عدلاً لعلمنا أن لم يمت ولم يقتل وإنما قتل ابن ملجم شيطاناً تصور بصورة علي، وقد صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم، وكما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذبت الخوارج في دعواها قتل علي، وسينزل علي إلى الأرض فيملؤها عدلاً وينتقم من أعدائه، وسيفتح له في مسجد الكوفة عينان إحداهما من السمن والأخرى من العسل، ستأكل منهما شيعته وأنصاره، وإنما قال ابن سبأ ذلك لأنه زعم في علي أن به الجزء الإلهي، فهو لن يموت، وعلي عند السبئية هو المهدي المنتظر، وهم يعتقدون أنه في السحاب وأن الرعد صوته والبرق تبسمه أو سوطه، ويقولون عند سماع الرعد: (السلام عليك يا أمير المؤمنين).

يظهر لنا من ذلك أن السبئية هم أول من قال بالغيبة والرجعة، والغلو في علي وقد سرت مبادئهم على غيرهم من غلاة الشيعة البائدة وغيرهم.

ونستطيع أن نقول: إن مبادئ ابن سبأ لا سبيل لها الآن إلى العقول المستنيرة بنور العلم والثقافة، وقد زالت من الوجود إلا عند السذج من العوام، وهي في طريقها إلى الزوال النهائي بإذن الله تعالى.

2- الكيسانية:

من الشيعة البائدة الكيسانية التي لا وجود لها إلا في صحائف التاريخ.

تسميتها:

يقول الشهرستاني[1] الكيسانية هم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، وكيسان هو تلميذ محمد بن علي بن الحنفية وهو الذي أرشد المختار الثقفي على قتلة الحسين حتى أبادهم، وقيل: إن كيسان من ألقاب المختار الثقفي.

ومهما يكن من أمر فإن أبرز زعماء الكيسانية المختار الثقفي، ولذلك تدعى الكيسانية بالمختارية.

---

(1) الملل والنحل ج1 ص 280.

المختار الثقفي[1]:

ولد المختار عام الهجرة ولم يحظ مع ذلك بشرف الصحبة، وكان شجاعاً وصولياً ذا مطامع عالية لذلك كان كثير التقلب، منتهزاً الفرص، لعب على مسرح الحوادث في العراق دوراً متقلباً.

خرج بالمدائن على الحسن بن علي عند توليه الخلافة، ثم تشيع وآزر مسلم بن عقيل في محاولته بتمهيد الأمور للحسين بن علي ﷺ بالكوفة، ولما باءت تلك الحركة بالفشل ولى وجهه شطر الحجاز حيث انضم إلى عبد الله بن الزبير، ولما لم يصل في ضلاله إلى ما يريد فارقه إلى الكوفة، وتزعم بها فرقة الكيسانية وادعى أنه أمين سر محمد بن الحنفية الذي حسن اعتقاد الناس فيه، وامتلأت قلوبهم محبة له، لذلك ازدادت أنصار المختار، وقوي بهم جناحه.

فأخذ على الناس البيعة، وكان يقول للناس: (تبايعوني على كتاب الله وسنة رسول الله والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحتلين والدفاع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا، والدفاع عن بيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم).

كان المختار الثقفي يقول بإمامة محمد بن الحنفية ويدعو الناس إليه مدعياً أنه من رجاله ودعاته وكان يتولاه بعد أبيه علي كرم الله وجهه، وقيل: لا بل وبعد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأخذ ثقة ابن الحنفية بشيئين:

أ - انتسابه له.

ب - اشتغاله ليل نهار صباح مساء بقتلة الحسين[2].

وثب المختار الثقفي في الكوفة (14 ربيع الأول عام 66هـ) فأخرج منها عامل ابن

---

(1) راجع الملل والنحل على هامش الفصل ج1 ص 197.

(2) راجع في هذا البحث الملل والنحل للشهرستاني ص 197-198 على هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري. وكتاب الفرق الإسلامية للدكتور أحمد مصباح ص 42-43 وكتاب إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة ص 170 ومحاضرات الخضري ج2 ص 139-140.

الزبير وهو عبد الله بن مطيع زاعماً أن ابن ا لحنفية أرسله للأخذ بثأر الحسين، ولقبه ابن الحنفية بالإمام المهدي[1]. وكان المختار يود أن يتبعه عل رأيه إبراهيم بن الأشتر لقوة بطشه وسمو شرفه فاحتال لذلك بأن زور كتاباً باسم ابن الحنفية لإبراهيم، فلبى إبراهيم الطلب، ثم غلبوا على الكوفة، وكانوا ينادون (يا لثارات الحسين) فتتبع قتلة الحسين فقتلهم قتلاً ذريعاً[2] ومنهم عمر بن سعد قائد الجيش الذي قتل الحسين وكذا قتل (شمر بن ذي الجوشن) قاتل الحسين خذله الله، ثم دخلت البصرة في بيعته.

ثم أن المختار تخير الجند لمحاربة عبيد الله بن زياد الذي أرسل الجيش لمحاربة الحسين وجعل المختار إبراهيم بن الأشتر قائداً لجيشه، وكان ابن زياد قد أتى من الشام إلى العراق لضمها ثانية لبني أمية، فالتقى الجيشان على نهر الخزر فكانت وقعة هائلة انهزم فيها جيش بني أمية وقتل قائده عبيد الله بن زياد.

كل ذلك كان في أوائل أمر المختار قبل أن يتطرف، ولكنه بعد الانتصار ركب رأسه، وادعى مخاريق. فمن مخاريقه[3] أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام. وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل، فكان إذا حارب خصومه يضعه في أول الصف، ويقول: قاتلوا ولكم الظفر والنصر، وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل، وفيه السكينة والبقية، والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم، وأرسل حمامات بيض في الهواء وقال هذه الملائكة تنزل على صورة الحمامات، وهو أول من قال بالبداء[4].

---

(1) يقول الخضري: هذا اللقب أول ظهور كلمة المهدي في العالم.

(2) قتل ذريع: أي سريع.

(3) الملل والنحل ص 199 هامش الفصل.

(4) البداء: بفتح الباء يطلق في اللغة على معنيين أحدهما الظهور بعد الخفاء والثاني نشأة رأي جديد، قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ ثم أن المختار كان بعد جماعته بأمر خارق للعادة فإذا تم يدعي علم الغيب وإذا لم ينفذ يقول بدا لله رأي جديد لم يكن موجوداً، وهذا على الله تعالى من المستحيلات عقلاً ونقلاً، فالله لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ . .﴾ [الأنعام: 59] راجع كتابنا (الأحكام والنسخ) ص 59.

وقد ازداد افتتان الناس بهذا الكرسي وبالحمامات، وبزخرفة كلام المختار وما أحرزه من نصر متكرر ويرجع ذلك النصر إلى شجاعته وشجاعة إبراهيم بن الأشتر.

وقد بلغت هذه المخاريق ابن الحنفية (الإمام التقي النقي) فتبرأ من المختار[1] وعزم على الذهاب إلى الكوفة ليحول دون افتتان الناس هناك بالرجل، فاضطرب المختار لهذه الزيارة المرتقبة ورأى أن يحتال على قتل إمامه إذا قدم، فقال لمن حوله: المهدي محمد بن الحنفية وأنا على ولايته، غير أن للمهدي علامة وهي أن يضرب بالسيف ضربة فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي، وبلغ قوله ابن الحنفية فعدل عن الذهاب إلى العراق خشية أن يفتك به المختار.

هذا، ولم يقف المختار في ترهاته[2] عند هذا الحد وإنما ادعى أن الوحي ينزل عليه بأسجاع صار يلفقها إلى الناس، منها قوله[3]: (أما والذي شرع الأديان وأنزل القرآن وجنب الأوثان وكره العصيان لأقتلن أسد عمان، وجُل قيس عيلان، وتميماً أولياء الشيطان) وهذه الأباطيل لم ترق في نظر العقلاء من أعوانه، وصادف أن ولى عبد الله بن الزبير أخاه مصعب على البصرة، فجاءها والمختار في الكوفة، فورد إلى مصعب أشراف الكوفة مستنكرين تصرفات المختار، وطلبوا أن يخلص الكوفة منه، فسار مصعب نحو الكوفة ومعه جند المصريين، فجند المختار ما بقي معه من جنود وتقابل الجيشان فما لبث جند المختار أن انهزم، فدخل مصعب الكوفة فاتحاً فخرج إليه المختار مستقتلاً فقتل، وقتل جميع من كان معه في القصر صبراً، حتى قتلت زوجته عمرة بنت النعمان بن بشير، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة:

إن من أعجب العجائب عندي ... قتل بيضاء حرة عطبول[4]

قتلت هكذا على غير جرم ... إن للّه درها من قتيل

---

(1) الكامل للمبرد ج3 ص 641.

(2) الترهات: الطرق الضيقة فارسي معرب ثم استعير في الباطل.

(3) الكامل للمبرد ج3 ص 641.

(4) العطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة طويلة العنق. أ. هـ قاموس.

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

هذا وإن الكيسانية قد اتفقوا على إمامة محمد بن الحنفية، واختلفوا في طريق انتقالها إليه فمنهم من زعم أنه وصي علي، وهو الإمام بعده لأن علياً ﷺ قد دفع الراية إليه يوم وقعة الجمل دون أخويه الحسن والحسين، وقال آخرون: إن الإمامة بعد علي كانت لابنه الحسن ثم صارت للحسين، وهو الذي أوصى بها لأخيه محمد بن الحنفية.

ومع أن ابن الحنفية قد توفي عام 81هـ فقد اختلف الكيسانية في أمره وكان منهم من زعم أنه حي لم يمت وأنه في جبل رضوى، عنده عين من الماء وأخرى من العسل، وهو بين أسد ونمر يحرسانه حتى يؤذن له بالخروج، وهو عند هؤلاء المهدي المنتظر، ومن الكيسانية كثير بن عبد الرحمن الشهير بكثير عزة الذي يقول:

ألا أن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيَّب لا يرى فيها زماناً برضوى عنده عسل وماء

وقد رد عليه شعراء السنة فقال قائلهم، ولعله عبد القاهر الجرجاني:

ولاة الحق أربعة ولكن لثاني اثنين قد سبق العلاء
وفاروق الورى أضحى إماما وذو النورين بعد له الولاء
علي بعدهم أضحى إماما بترتيبي لهم نزل القضاء

وبعد ما تقدم فابن الحنفية كان إماماً فاضلاً تقياً نقياً ليس له ذنب بتطرف أتباعه، والواقع فقد انقرض المختار الثقفي وانقرضت الكيسانية معه، ما خلا الرجعة فهي لا تزال عند كثير من الفرق وخصوصاً (الإمامية).

3 - المغيرية :

من فرق الشيعة البائدة[1] المغالية (المغيرية) وهؤلاء اتجهوا في تشيعهم إلى سلالة الحسن بن علي ﷺ، والمغيرية هم أتباع المغيرة بن سعد، وهم يتولون محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، وهو المهدي المنتظر عندهم.

أما محمد المذكور فهو الملقب بالنفس الزكية، ولقبه يطابقه فكان من أطيب الناس قلباً.

كان المتشيعون لآل البيت ثلاث فرق بالاتجاه، فرقة ترى أن إمام المسلمين معين بالنص من ولد فاطمة بنت الرسول ﷺ، وهؤلاء إمامية وكانوا يتولون إلى وقت أبي جعفر المنصور: جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين. وفرقة ترى أن إمام المسلمين يكون من بني فاطمة رضي الله عنها غير أنه معين بالوصف لا بالاسم، وهؤلاء إمامية زيدية، ويرون الخروج مع كل من دعا لنفسه من بني فاطمة متى كانوا موصوفين بالصفات الواجب أن تكون في الإمام من العلم والشجاعة والدين والورع وغير ذلك، وهم نصراء زيد بن علي زين العابدين وابنه يحيى، وفرقة ترى إمامة أهل البيت من غير تقييد ببني فاطمة، وهم الذين نصروا بني العباس وأقاموا دولتهم. وأكثرهم في خراسان وبلاد العجم.

فلما استقر الأمر لبني العباس رأى العلويون أن بني عمهم قد أحرزوا الخلافة باسمهم وأعظمهم في ذلك رجلان:

أحدهما : جعفر الصادق، إمام الإمامية، ولكنه لرجاحة عقله وغزارة علمه وفضله وحبه للعافية رضي بما تم ولم يحرك ساكناً، وكان يوصي أصحابه بالخلود إلى السكينة لأنه لم يرَ فرصة معقولة. حتى لقد راسله أبو سلمة الخلال داعية بني العباس ليوليه الخلافة فرفض.

وثانيهما : محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي (النفس الزكية) وهذا كان

---

(1) البائدة: الهالكة التي لا وجود لها الآن تقريباً إلا في عقول السذج البسطاء.

أطمع في الأمر، لأن بني هاشم انتخبوه للخلافة وبايعوه في أواخر عهد بني أمية، وكان ممن بايعه أبو جعفر المنصور، فلما جاءت الدولة العباسية لم يبايع لأبي العباس ولا لأبي جعفر، فجعل أبو جعفر يضايقه حتى يبايع فلم يفعل، ولكنه اختفى فأخذ أبو جعفر سائر أولاد الحسن وحبسهم في المدينة المنورة وخرج بهم إلى العراق ونكل فيهم حتى مات بعضهم تعذيباً، عندها خرج النفس الزكية واستولى على المدينة المنورة وخرج أخوه إبراهيم في البصرة وما جاورها، وخرج أخوه إدريس واستولى على جزء من بلاد المغرب، فأرسل أبو جعفر المنصور جيشاً كثيفاً إلى النفس الزكية فقابله بجيش الشيعة والتحم الجيشان حتى قتل النفس الزكية وتفرق جيشه، وكذا كانت عاقبة أخيه إبراهيم[1].

---

(1) كان خروج النفس الزكية عام 145 ولم يظهر بالخروج إلا بعد أن زاد المنصور في إرهاق بني الحسن. فأخذ عبد الله بن الحسن والد محمد وسائر إخوته وأولاده وكانوا ثلاثة عشر رجلاً وحبسهم أولاً بالمدينة. (ومحمد النفس الزكية مختبئ هو وأخويه إبراهيم وإدريس) ثم حملهم إلى الكوفة. وحمل معهم محمد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان أخو عبد الله لأمه. أمهم جميعاً فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، حملوا جميعاً مقيدين بالأغلال والأثقال. وسير بهم على شر ما يكون. وجلد محمد بن عبد الله العثماني ألف جلدة. ثم صيرهم إلى الكوفة فحبسوا في قصر ابن هبيرة في سرداب تحت الأرض. لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل. وقد استعمل معهم المنصور من الفضائح ما لا طاقة للإنسان على تسطيره. وكانت نتيجة هذا التعذيب أن مات أكثرهم تحت وطأة العذاب. مع أن بني العباس ملؤوا الدنيا تهويلاً ورياء أنهم خرجوا انتقاماً من قتلة الحسين وزيد بن علي زين العابدين ويحيى بن زيد. وهؤلاء إنما قتلوا في ميادين القتال (كما سيأتي) وهم خارجون. ولم يقتل بنو أمية أحداً من آل علي بالشكل الفظيع الذي ذهب به بنو الحسن في عهد بني عمهم من آل العباس.

كانت نتيجة هذا الإحراج وهذه الفظائع أن عزم محمد (النفس الزكية) على الظهور بالمدينة المنورة فاستولى عليها. وأخذت له البيعة سراً في كثير من الأمصار. وخرج أخوه إبراهيم في البصرة. كما خرج أخوه إدريس في بلاد المغرب. ولكن لسوء حظ محمد أن أخاه إبراهيم تأخر عن ميعاد الخروج لمرض ألم به. وقد جعل محمد نفسه محصوراً بالمدينة. وهي ليست بمركز حربي يمكن القائد أن يبقى فيه على الدفاع طويلاً. وحياتها من خارجها فلا تحتمل الحصار إلا قليلاً. فلم يكن محمد موفقاً في تدبيره مع ما كان يتحلى به من الخصال التي ترفعه في أعين سائر الناس على أبي جعفر وغيره من بني العباس.

كاتب المنصور (النفس الزكية) وأعطاه الأمان وعلى أن يفرج عن المعتقلين من أهله. وأجاب النفس الزكية بكتاب يؤمن فيه المنصور وكأنه قد انتصر.

فلم يكن بد من الحرب. فأرسل له المنصور جيشاً يقوده عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس. ثم دارت المعركة بين الفريقين حتى قتل (النفس الزكية) بعد أن أظهر شجاعة منقطعة النظير. ثم عاد عيسى بن موسى إلى البصرة فالتقى بالشيعة من أنصار إبراهيم وكانت العاقبة أن قتل إبراهيم أيضاً. =

كان زعيم أنصار النفس الزكية المغيرة بن سعيد العجلي[1] الذي كان مولى لخالد بن عبد الله القسري، فنصر المغيرة وأتباعه النفس الزكية حتى إذا قتل قالوا: لم يقتل ولم يمت وإنه في جبل (حاجز) من ناحية نجد مقيم هناك إلى أن يؤمر له بالخروج، ويملك الأرض وتعقد له البيعة بمكة بين الركن والمقام[2].

ولعل هذه العقيدة لا تختلف كثيراً عن عقيدة شيعة محمد بن الحنفية الذين قالوا أنه مقيم في جبل رضوى، وأنصار النفس الزكية يقولون: إن الذي قتله جيوش المنصور هو شيطان تمثل في صورته، فرد عليهم المعتدلون قائلين: إن أجزتم أن يكون المقتول في المدينة شيطاناً فأجيزوا أن يكون المقتول بكربلاء شيطاناً، وانتظروا حسيناً كما انتظرتم النفس الزكية، بل وانتظروا علياً كما انتظرته السبئية الذين زعموا أنه في السحاب والذي قتله عبد الرحمن بن ملجم كان شيطاناً تصور بصورة علي.

وخلاصة القول: إن فرقة المغيرة العجلي غالت في عقائدها وما لبث المغيرة بعد النفس الزكية أن انساق وراء أوهامه وادعى الإمامة لنفسه، ثم ادعى النبوة، ولكنها نبوة من طراز لم يألفه أحد في النبوات السالفة، فقد استحل المحارم وأعلن الإباحية وأله علياً، ثم زاد ذلك بعقيدة تدعو إلى الضحك والسخرية، فقال بالتشبيه، وزعم أن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثل حروف الهجاء، وصورته على صورة رجل من نور على رأسه تاج وله من الأعضاء والخلق ما للرجل، وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة، وزعم أن الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاج، ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه، فغضب من المعاصي فعرق فاجتمع من

= وكان محمد وأخوه إبراهيم من أحسن الطالبيين خلقاً. وأنظفهم تاريخاً. لم يعرف عنهما ما يشينهما في معاملة الناس وفي صدق العزيمة. إلا أن الحظ خانهما.

راجع في ذلك مروج الذهب للمسعودي ج2 ص 233 وما بعدها ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ج3 ص 60 وما بعدها.

(1) ومن هنا سميت الفرقة بالمغيرية.

(2) الفرق بين الفرق ص 42 وما بعدها.

عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب، والمالح مظلم، والعذب نير إلى آخر[1] ما هنالك من الخرافات التي يحق لنا أن ننفي أن تكون المغيرية من الشيعة، بل نقول: إن هؤلاء كانوا من بعض العصبيات الحاقدة على الإسلام فأرادت أن تشوه محاسنه، وتسيء إلى قدسيته مستعينين بالغافلين والبلهاء من العامة ببث الدعاوي الكاذبة بين صفوفهم، فأشاعوا الفرقة بين المسلمين وغرسوا الشك في قلوب بعض المؤمنين فتعرض الإسلام لمحنة كبيرة من جراء هذه الاعتقادات الضالة والدعاوى السخيفة.

ولكن لحسن الحظ جميع تلك الفرق المغالية قد بادت وهلكت، وليس لها وجود إلاَّ في صفحات التاريخ أو في عقول البلهاء من الناس.

الشيعة المعتدلة

هم الشيعة الذين بقي منهم الكثير إلى زمننا اليوم، وتربطنا وإياهم روابط التسامح والتآلف ديانتنا واحدة وقرآننا واحد، ومع ذلك فإنهم فرق يقتربون من أهل السنة أو يبتعدون.

أشهر الشيعة المعتدلة

1 - التوابون:

كان أنصار الحسن بن علي رضي الله عنهما من خيرة المسلمين، وأصفاهم قلباً وأتقاهم روحاً، فلما انتقل الحسن إلى رحمة الله، انتقلت أمور الوصاية إلى الحسين الذي التف حوله بعض الأنصار من أهل العراق، حتى بايع مسلم بن عقيل لمصلحة الحسين ثلاثين ألفاً ولكنهم ما لبثوا أن انفضوا عنه حتى لقي مصرعه، ثم لحقه الحسين مغروراً بشيعته من أهل العراق، فانفضوا عنه حتى لحق بابن عمه مسلم بن عقيل بأرض كربلاء بالطريقة البشعة المعروفة في كتب التاريخ، فكانت أن دبت الغيرة، وتأججت نيران الحقد في قلوب أكثر المسلمين الذي رأوا في ذلك امتهاناً لبيت الرسول الأعظم ﷺ، فاتسع نطاق التشيع لآل البيت، ونشأت في البصرة جماعة أطلقوا على

(1) الملل والنحل ج1 ص 157.

أنفسهم اسم (التوابون) كونوا منظمة كونت نحو مائة رجل على رأسهم الصحابي الجليل سليمان بن صرد الخزاعي.

وهؤلاء التوابون رأوا أنهم غرروا بالحسين حينما استدعوه لكي يكون على رأس جماعتهم ثم تخلوا عنه ليلقى حتفه بطريقة مزرية به.

وكانت حركة التوابين سرية أول الأمر، وكان شعارهم الثأر للحسين، وكان في مقدمة دعاة التوابين رجل اسمه عبيد الله بن عبد الله المري، وكان يثير المسلمين على قتلة الحسين ويصور بشاعة الجريمة بقوله: (ابن أول المسلمين إسلاماً، وابن بنت رسول رب العالمين، قَلَّت حمايته، وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وليه، فويل للقاتل، وملامة للخاذل، إن الله لم يجعل لقاتله حجة، ولا لخاذله معذرة إلاَّ أن يناصح الله في التوبة، فيجاهد القاتلين، وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله، والطلب بدماء أهل بيته، وإلى جهاد المخلين والمارقين، فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار، وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى آل بيت نبينا).

وقد كثر عدد التوابين وخرجوا إلى قبر الحسين بكربلاء يعترفون بخطئهم حين تقاعسوا عن نصرته ويبكون ولسان حال الحسين يقول:

لأ لفيّنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادِ

ثم صعدوا إلى الشمال يريدون الإيقاع بالأمويين فالتقوا بجيش في عين الوردة قرب الرقة، وكانت معركة حامية الوطيس والتوابون ينادون (ألا يا لثارات الحسين) وقد أبلوا بلاء حسناً، وقاتلوا قتال الأسود، إلا أن كثرة عدوهم وعدته قضت على أكثرهم وفر الباقون.

وليس للتوابين أي تطرف ولكنهم تنبهوا إلى خطئهم بعد فوات الأوان.

2 - الزيدية :

هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وزيد معدود في الثقات من المحدثين، روى الحديث عن أبيه علي زين العابدين، وعن عروة بن الزبير، وأبان بن عثمان بن عفان وعبيد الله بن رافع، وقد روى عنه ابن شهاب الزهري، وكثيرون من رجال الحديث ﷺ.

قال فيه أبو حنيفة النعمان ﷺ: (شاهدت زيد بن علي فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم، ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً).

وقد وصفه خصمه هشام بن عبد الملك بن مروان فقال[1]: رأيت رجلاً جذلاً ليناً خليقاً بتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال بحلاوة منطقه، وبكثرة مخارجه في حججه، وإن أعاره القوم أسماعهم حشاها من لين لفظه، وحلاوة منطقه، مع ما يدلي به من قرابة من رسول الله ﷺ.

لهذا كان الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك يخشاه على سلطانه، وخاصة بعد أن اتهمه خالد بن عبد الله القسري أمير العراق إذ ذاك بأنه يرنو إلى الخلافة ببصره:

وفي مجلس[2] ضمهما وجه إليه هشام ذلك الاتهام فقال زيد: أحلف لك؟ فقال هشام: وإذا حلفت أ أصدقك؟ قال زيد: اتق الله. فقال هشام والغضب يملأ قلبه: أو مثلك يأمر مثلي بتقوى الله؟ فقال زيد لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولا دون أن يوصى بتقوى الله. فقال هشام: اسكت لا أم لك بلغني عنك أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة[3] فقال زيد: إن لك جواباً إن أجبت أجيبك به. قال: أجب، قال: قد كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أمة، واسحق ابن حرة، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم محمداً ﷺ. وبعد أمي فاطمة بنت محمد لا أفخر بأم، فعند

---

(1) الطبري ج 8 ص 277 – راجع كتاب الفرق الإسلامية للدكتور أحمد مجاهد مصباح والدكتور محمود محمد زيادة.

(2) البيان والتبيين للجاحظ.

(3) كانت أم زيد أمة من السند. مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 162.

ذلك طرده هشام من مجلسه فنهض زيد وهو يقول: إذن لا تراني إلا حيث تكره.

خرج زيد إلى الكوفة والألم يملأ نفسه، وأقام فيها فترة وفد عليه خلالها كثيرون من الشيعة يبايعونه ويعدونه بالنصرة إن هو خرج على بني أمية.

وأراد[1] بعض رؤسائهم أن يتبينوا رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال لهم زيد: رحمهما الله وغفر لهما. ما سمعت أحداً من أهل البيت يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلاَّ خيراً.

قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل البيت إلا أن وثبوا على سلطانكم فنزعوه من أيديكم. فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا لهم بالكفر، وقد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم ففارقوه ونكثوا بيعته، فسماهم زيد الرافضة.

أقام زيد بعد ذلك بالعراق بضعة عشر شهراً يبث الدعاة، ويجتذب الأنصار، وقد نصحه سلمة بن كهيل: ألا يمثل مع هشام دور جده الحسين مع يزيد بن معاوية. وقال له في ذلك: (ناشدتك الله كم بايعك؟ قال زيد: أربعون ألفاً قال: فكم بايع جدك الحسين؟ قال: ثمانون ألفاً قال: فكم ثبت معه؟ قال: ثلاثمائة قال ناشدتك الله: أنت خير أم جدك؟ قال: جدي قال: أفتطمع أن يبقى معك هؤلاء؟ وقد غدروا أولئك بجدك؟ قال: قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم. كما نصحه أخوه أبو جعفر محمد بن علي وحذره من الكوفة وقال له: بها قتل جدك علي وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين. فأخاف عليك يا أخي أن تكون غداً المصلوب بكناسة الكوفة. ثم ودعه وداعاً أخيراً[2].

لم تفد تلك النصائح شيئاً، وبعث الدعاة إلى أهل السواد وإلى أهل الموصل.

---

(1) الطبري ج 8 ص 272.

(2) راجع مروج الذهب ج 2 ص 161.

وكان أبو حنيفة ﷺ [1] يفتي سراً بوجوب نصرته وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالخليفة، وقد بعث[2] إليه بمال فقبله منه.

علم أمير العراق بنشاط زيد في الكوفة فطالبه بالرحيل فعجله بذلك عن موعد كان قد ضربه لشيعته، فخرج إلى القادسية يرفع لواء الخروج على بني أمية، بعد أن بايعه في الكوفة نحو أربعين ألفاً من أهلها، لم يجد حوله منهم عند الالتحام غير مائتين وثمانية عشر رجلاً لم يغنوا عنه من الهزيمة شيئاً رغم ما بذله في تلك المعركة من صلابة وعناد، وقد أصابه أثناءها سهم في جبهته وفاضت روحه الطاهرة عند نزعه منها، لليلتين خلتا من صفر سنة 122هـ فدفنه رجاله خلسة في مكان أجروا فوقه الماء مبالغة في إخفائه حتى لا يمثل به أعداؤه، غير أن أعوان الأمير الأموي عرفوا موضع القبر فنبشوه وأخرجوا جثة الإمام زيد واحتزوا رأسه وأرسلوه إلى خليفتهم هشام بن عبد الملك فنصبه على باب مدينة دمشق، ثم أمر أن يطاف به في الأمصار، وقد قدر لهذا الرأس الكريم أن يدفنه أهل مصر في مكان يسمى الآن مسجد زين العابدين باسم والد زيد، وقد صلب الجسم وأحرق، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم. إن هذا التمثيل من الحقد وضعف العقول فقد أشعل الدنيا ناراً على الأمويين.

وقد أحزن الشيعة نهاية زيد كما أحزن العالم الإسلامي قاطبة، فلبس الشيعة السواد حداداً. وهرب ابنه يحيى إلى خراسان ثم منها إلى بلخ، وأقام بها متوارياً يبث الدعاة ويتهيأ للثورة، ثم خرج فلقي مصير أبيه فقد أصيب بنشابة في جبهته فمات، فصلب ثم أحرق... وكان ذلك عام 125هـ.

ضاعف الشيعة من أجل ما نزل بزيد وابنه جهودهم في مناهضة بني أمية، معتمدين في ذلك على الفرس حتى جعلوا سلطانهم أثراً بعد عين ونكل بهم كما نكلوا بخصومهم[3].

---

(1) راجع كتاب الكشاف للزمخشري ج 1 ص 64.

(2) مقاتل الطالبيين ص 107.

(3) حكى المسعودي في مروج الذهب ج2 ص 163 عن عمرو بن هانئ قال: خرجت مع عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لنبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح فانتهينا إلى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحاً ما فقدنا منه إلاَّ أرنبة أنفه فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطاً ثم أحرقه. إلى آخر ما قال.

إن مذهب زيد لم يقدر له الذيوع والانتشار إلا بعد أن تمكن أحفاده من إقامة الدولة الزيدية بطبرستان في منتصف القرن الثالث الهجري حيث اعتنق القوم هناك مذهب زيد ﷺ، وانتقل إلى بلاد اليمن ولا يزال معظم السكان يدينون به إلى اليوم، وهو المذهب الرسمي عندهم.

تعاليم الزيدية :

كان من مذهب زيد[1] جواز إقامة المفضول مع وجود الأفضل، فقد كان يقول: كان علي بن أبي طالب ﷺ أفضل الصحابة على الإطلاق، إلاَّ أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها من تسكين ثائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين علي ﷺ لم يجف بعد من دماء المشركين، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله ﷺ. ألا ترى أن أبا بكر لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر لعمر زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظاً غليظاً. فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدته وصلابته. (ولغلظته في الدين وفظاظته على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر بقوله: لو سألني ربي لقلت وليت عليهم خيرهم لهم.

ولا يمنع زيد أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا كما استعان أبو بكر وعمر بعلي في الأحكام، ﷺ أجمعين.

وساق زيد الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يُجزْ أن تكون في غيرهم من أبناء علي كرم الله وجهه كمحمد بن الحنفية وبنيه، وكان يرى أن كل فاطمي عالم زاهد شجاع، خرج في سبيل الإمامة فهو إمام واجب الطاعة سواء كان من أبناء الحسن أم من أبناء الحسين.

وفي رأيه أن من لم يخرج من هؤلاء في سبيل الخلافة ليس بإمام، فأخرج الإمام بذلك من دور الاختفاء السلبي الذي ينتهجه الإمامية.

---

(1) الملل والنحل ج1 ص 394.

واعترف الزيدية بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسين النفس الزكية وبإمامة أخيه إبراهيم لما خرجا مخالفين للإمامية من الشيعة.

ولما كان زيد بن علي المذكور قد اشترط في الإمامة العلم فقد تتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة واقتبس منه الاعتزال، وجرت مناقشة بين زيد وأخيه محمد الباقر في ذلك فقد اشترط زيد في الإمام أن يكون عالماً مجتهداً ويخرج مجاهداً لطلب الإمامة. فقال له أخوه محمد الباقر: على مذهبك يا زيد لا يكون والدك إماماً فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج.

هذا: وقد نبغ من الزيدية كثيرون بسبب إشتراط زعيمهم زيد العلم والاجتهاد في الإمام. من هؤلاء الإمام الداعي إلى الحق الحسن بن زيد الذي أقام الدولة الزيدية بطبرستان من عام 250 إلى سنة 270هـ وقد ألف كتاب (الجامع في الفقه) ومنهم القاسم بن إبراهيم العلوي الذي حكم صعدة باليمن من عام 246 إلى عام 280هـ.

والزيدية لا يقولون بالبداء[1] ولا بالتقية[2] ولا يعترفون بعصمة الأئمة ولا باختفائهم ولا يعتقدون فكرة المهدي ورجعة الأئمة، وإنما ينكرون ذلك إنكاراً شديداً، وقد رفضوا في كتبهم الأحاديث والأخبار المتعلقة بذلك، وكان لهذا أقرب فرق الشيعة إلى السنة، ومن أهم كتب الزيدية التي بأيدينا كتاب (المجموع) الذي جمع فيه ما روي عن الإمام زيد من أحاديث وفتاوى، وهو أول كتاب جمع في الفقه على المذهب الزيدي، والروايات فيه عن زيد عن آبائه، مما يدلنا على مدى تشدد الشيعة في عدم تلقي العلم عن مخالفيهم، ولا يوجد في هذا المجموع الكبير شيء عن أبي بكر وعمر وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة الأعلام.

وقد انقسم الزيدية بعد وفاة إمامهم (زيد) إلى ثلاث فرق:

---

(1) مر معنا أن البداء هو الظهور بعد الخفاء أو نشأة رأي جديد وكلاهما مستحيلان على الله تعالى ولكن المختارية وبعض الروافض يجيزون ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(2) التقية كما مر معنا إظهار غير الباطن للسلامة.

1 - **الجارودية** أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر. وهؤلاء يعتقدون أن النبي ﷺ قد نص على علي بن أبي طالب ﷺ بالوصف دون الاسم وقد أخطأ الصحابة ﷺ حيث لم يتعرفوا الوصف فنصبوا أبا بكر باختيارهم[1].

2 - **السليمانية** وهم أصحاب سليمان بن جرير. وكانوا يرون أن الإمامة شورى فيما بين الناس. وتصح في المفضول مع وجود الأفضل. وهم يرون أن الأمة أخطأت باختيار أبي بكر وعمر وعثمان خطأً اجتهادياً لا تبلغ درجة الفسق أو الكفر.

3 - **البترية** : وهم أصحاب كثير الأبتر: ويقولون بأن الإمامة شورى، ويرون كما يرى إمامهم زيد بأنه تجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل فأبو بكر وعمر إمامان صحيحان. وأما عثمان ترددوا فيه، فقالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه بأنه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا به خيراً، وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها توقفنا[2].

أشهر من عرف من أئمة الزيدية

من أئمة الزيدية الحسن بن علي المنتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ فإنه صنف الكتب الكثيرة على مذهبهم، مرتبه على أبواب الفقه، ومنهم الحسين بن زيد المنتهي نسبه إلى الحسن السبط بن علي ﷺ وكان الحسن من العلماء المتفوقين، وقد ثار على الخلفاء العباسيين وملك منهم طبرستان عام 250-270هـ وله في الفقه كتاب (الجامع) وكتاب (البيان) وغيرهما. ومنهم القاسم بن إبراهيم العلوي البرمي، ملك صعدة من بلاد اليمن عام 246 - 280هـ وإليه تنسب الزيدية القاسمية هناك وله من الكتب في الفقه كتاب الأشربة، وكتاب الإيمان والنذور وغيرهما. ومنهم الهادي بن الحسن بن القاسم المتقدم ملك صعدة بعد جده القاسم من عام 280-290هـ وإليه تنسب الزيدية الهادية. وله كتاب كبير في الفقه. وخلاصة القول: إن مذهب الزيدية أقرب مذاهب الشيعة إلى مذاهب الجمهور لأن الزيدية لا ينتقصون الشيخين أبا بكر

---

(1) التبصرة في الدين ص 16.

(2) الملل والنحل ج1 ص 320.

وعمر، وإن كانوا يرون علياً أولى منهما بالخلافة. كما مر[1].

الشيعة الإمامية

هم جمهور الشيعة الذين يعيشون بيننا وتربطنا بهم (كما قلنا) روابط التسامح والتآلف والسعي إلى تقريب المذاهب لأن جوهر الدين واحد، ولب الدين يدعو إلى الوحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 92].

والإمامية ليست فرقة واحدة كما يتبادر للذهن، بل هي فرق كثيرة كالباقرية والجعفرية والموسوية والإسماعيلية، وجميع هذه الفرق تتفرع عن الأئمة الإثنا عشر الذين تنسب إليهم أشهر الفرق الإمامية وهي الإثنا عشرية. وتتفرع كما يلي:

1- سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه:

وهو أشهر من أن يعرف، ونتشرف بتعريفه فنقول: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف، وهو ابن عم رسول الله ﷺ وأبو طالب شقيق والد الرسول، وأم علي فاطمة بنت أسد، ولد قبل الهجرة بإحدى وعشرين سنة ولما أرسل الرسول ﷺ كان علي مراهقاً وكان مقيماً مع الرسول في بيته تخفيفاً على أبيه، فكان من أول من أسلم إذا لم نقل هو أول المسلمين بعد خديجة رضي الله عنهما، وكان له الشرف العظيم ببياته موضع الرسول ﷺ ليلة الهجرة، ثم هاجر بعد أن أدى الودائع، وبعد الهجرة زوجه النبي ﷺ بنته فاطمة الزهراء، وحضر جميع غزوات النبي ﷺ ما عدا غزوة تبوك، فإن الرسول خلفه فيها على أهله، وكان له الأثر المحمود والمقام الذي لا يجهل في جميع الغزوات، وكان شجاعاً يخوض الغمرات ولا يبالي بشدة، وكان يكتب للرسول ﷺ الوحي وغيره. وقد مرت خاتمة حياته.

---

(1) راجع في ذلك كتاب تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد السايس ورفيقيه ص 228.

2 - **الحسن:**

3 - **الحسين:**

الحسن بن علي ثاني الأئمة الإثنا عشرية والحسين الثالث أمهما فاطمة الزهراء ﷺ - بنت رسول الله ﷺ - قال فيهما رسول الله ﷺ هما ريحانتاي من الدنيا، ولد الحسن سنة ثلاث من الهجرة وولد الحسين سنة أربع بينهما عام واحد، وسماهما الرسول، وتولى الحسن الخلافة بعد أبيه بمبايعة أكثر من أربعين ألفاً، واستمر في الخلافة نحو ستة أشهر بالحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك، ثم دعاه كرمه وحلمه وورعه وحبه لسلامة المسلمين إلى أن تركها لمعاوية بعد أن سار كل منهما لقتال الآخر، وعلم أنه لن تغلب طائفة إلا بعد قتل أكثر الأخرى، فرأى أن المصلحة بترك القتال، وكان في ذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ في حقه: إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وروى عن النبي ﷺ ثلاثة عشر حديثاً، ومات مسموماً من زوجته جعدة بنت الأشعث أغراها يزيد بن معاوية ووعدها أن يتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوماً ومات سنة خمسين، فبعثت إلى يزيد تطلب وعده فنفذ المال وأبى الزواج، إذ أنها لم تؤتمن على ابن بنت رسول الله ﷺ حتى تؤتمن على ابن معاوية.

وكانت نهاية الحسين المؤلمة سنة 61هـ بكربلاء رضي الله عنهما.

4 - علي زين العابدين: رابع الأئمة عند الإثني عشرية:

هو علي بن الحسين بن علي، الذي يقال له علي الأصغر، وليس للحسين عقب إلا من ولده هذا، وقد قال عنه الزهري ما رأيت قرشياً أفضل منه، وأمه (جهانشاه) بنت يزدجرد آخر ملوك الأكاسرة، ثم سميت (سلافة) وكان يقال لزين العابدين (هذا) ابن الخيرتين لقوله ﷺ: (لله من عباده خيرتان، فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس)[1].

وكان أهل المدينة يكرهون أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي زين العابدين،

---

(1) لم أعثر على تخريج لهذا الحديث.

والقاسم بن محمد[1] وسالم بن عبد الله بن عمر، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري، وكان زين العابدين ﷺ كثير البر بأمه، وقد ولد سنة 38هـ وكان مع أبيه الحسين رضي الله عنهما في وقعة كربلاء، وكان مريضاً فسلمه الله وهو ابن 23 سنة حيث كانت وقعة كربلاء عام 61هـ ثم حمل إلى يزيد بن معاوية الذي أكرمه وأرسله إلى المدينة فقضى حياته في المدينة مسالماً لبني أمية حتى التحق بربه عام 94هـ.

ومما يؤثر عنه أنه خرج يوماً من المسجد فلقيه رجل من أعداء آل البيت فجعل الرجل يسب زين العابدين ويشتمه، فتبادر إليه العبيد والموالي يريدون ضربه، فقال لهم زين العابدين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل عليه فقال له: إن ما ستر عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فألقى زين العابدين بردة كانت على كتفيه على الرجل هدية، وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول ﷺ.

5 - محمد الباقر بن علي زين العابدين:

الإمام الخامس للشيعة، هو محمد الباقر وهو شقيق زيد إمام الزيدية، ولم تعترف الزيدية بإمامته ولا بإمامة أبيه لأنهما لم يخرجا في سبيل الخلافة. فلا إمام عندهم إلا من جاهد في سبيل الإمامة.

محمد الباقر هو أبو جعفر الصادق، وكان عالماً سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه يبقر العلم أي يتوسع، والتبقر التوسع وفيه قال الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير من لبى على الأجبل

ولد في المدينة المنورة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة 57هـ وكان عمره يوم استشهد جده الحسين بن علي ثلاث سنين، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن

---

(1) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. أبو محمد أحد الفقهاء السبعة في المدينة، ولد فيها ومات بقديد بين مكة والمدينة حاجاً أو معتمراً وكان صالحاً ثقة من سادات التابعين، قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. الأعلام للزركلي ص 15 ج6.

أبي طالب ﷺ، وتوفي في شهر ربيع الأول عام 113هـ بالحميمة[1] وقد نقل الباقر إلى المدينة ودفن في البقيع في القبر الذي فيه أبيه علي زين العابدين، وعم أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب، بجوار العباس بن عبد المطلب ﷺ أجمعين[2].

6 - جعفر الصادق :

سادس الأئمة الإمامية جعفر الصادق، وإليه تنسب الجعفرية، وكان ذا حظ عظيم في العلم، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، عاصر آخر الدولة الأموية، وصدراً من الدولة العباسية فقد ولد سنة 83هـ وتوفي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة 148 وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ﷺ أجمعين، ودفن في البقيع في قبر فيه أبوه وجده، كان ذا عقل راجح أرسل إليه أبو سلمة الخلال زعيم الدعاة لبني العباس في الكوفة كتاباً يدعوه للخلافة فقرأ جعفر الكتاب وقال: ما لي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري؟ فقال له الرسول: ألا تجيبه؟ فقال جعفر لغلامه: أدن السراج مني فأدناه فوضع الكتاب على النار حتى احترق فقال: قد رأيت الجواب[3].

أقام جعفر في المدينة فترة من الزمن يفيد المنتمين إليه من الشيعة ومن غيرهم بما وعاه قلبه من العلوم الشرعية، ويطلعهم على أسرار ما اشتغل به من علم النجوم والكيمياء، ثم انتقل إلى العراق وهناك استفاد من خبرته العلمية الواسعة كثيرون، وكان في جملة من أخذ عنه العلم مالك وأبو حنيفة، كما كان من جملة تلاميذه جابر بن حيان، صرفه الاشتغال بالعلم عن الاهتمام بالسياسة والتعرض لمتاعبها، ولهذا سالم بني أمية رغم ما كان من دسائس وفتن واضطراب، وظل هذا دأبه لم يتعرض للإمامة، ولم ينازع أحداً للخلافة فسلم من قسوة العباسيين، كما نجا من قبل من بطش الأمويين.

---

(1) الحميمة: تصغير الحمة كما قال ياقوت، وهي بلد من أرض السراة من أعمال عمّان في أطراف الشام وكانت منفى بني العباس.

(2) وفيات الأعيان لأبي بكر بن خلكان ج3 ص 314 ترجمه 532.

(3) المحاضرات للخضري ج3 ص 26 ومروج الذهب ج1 ص 166.

لقب بالصادق لصدقه في مقالته، وكان في زمنه سيد بني هاشم وقد عرف من مبادئه أنه كان يرى أن الأصل في الأشياء الإباحة، حتى يرد نهي فيها، وأنه كان يرى جواز نقل الحديث بالمعنى وأنه كان لا يقول بالقياس لأنه رأى أن الدين يرجع فيه إلى الكتاب والسنة، وقد روي أنه ناظر أبا حنيفة فقال: أيهما أعظم قتل النفس أو الزنى؟ قال أبو حنيفة: قتل النفس. قال جعفر: إن الله قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنى إلاَّ أربعة.

ثم قال جعفر: أيهما أعظم الصلاة أو الصوم؟ قال أبو حنيفة: الصلاة قال جعفر: فما بال الحائض تقض الصوم ولا تقض الصلاة؟ فكيف يقوم لك القياس؟ فاتق الله ولا تقس. وقد نقل عن جعفر كثير من الحكم والمناجاة، وهو ثقة في الحديث، وقد نسب إليه كثير من الحديث، وقد وثقه الشافعي ويحيى بن معين وغيرهما، وكان بعض المحدثين يأخذ بحديثه إذا رواه عنه الثقات، ومن طُرفه أنه قال لأبي حنيفة: ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟ قال أبو حنيفة: يابن رسول الله لا أعلم ما فيه. فقال جعفر: ليس للظبي رباعية. وهو ثني أبداً[1].

(1) وفيات الأعيان ج1 ص 337 ترجمة 128.

انقسام الإمامية

كان جعفر الصادق قد أوصى بالإمامة من بعده لولده الأكبر إسماعيل. غير أن إسماعيل - على أصح الروايات - توفي في حياة أبيه جعفر. فأشهد أبوه جمعاً من أهل المدينة على وفاته حتى لا يتهم لدى الخليفة أبي جعفر المنصور بأنه يتستر على ابنه تمهيداً للخروج على العباسيين، كما سبق أن اتهم عبد الله بن الحسن بالتستر على ولديه محمد النفس الزكية وإبراهيم، اللذين خرجا على أبي جعفر فيما بعد، وهددا دولته بأشد الأخطار. وبرغم هذا الإشهاد فقد أبى الاعتراف بوفاة إسماعيل فريق من الإمامية فانقسموا بذلك إلى طوائف. أشهرها: الإثنا عشرية، والإسماعيلية. وسنتكلم عن الفرقتين. إن شاء الله.

7- موسى الكاظم: أبو الحسن هو سابع الأئمة الإثني عشرية :

ولد عام 129 وتوفي عام 183 : عاش 54 عاماً لقد اعترف فريق كبير من الإمامية بوفاة إسماعيل بن جعفر الصادق. ونقلوا ولاءهم بعده إلى أخيه موسى الكاظم بن جعفر. وعرف هؤلاء بالإثني عشرية لأن سلسلة الأئمة عندهم تنتهي بالإمام الثاني عشر وهو محمد المهدي المنتظر.

فالإمام السابع عندهم هوموسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ﷺ أجمعين.

يقول الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: كان موسى يدعى (العبد الصالح) من عبادته واجتهاده[1]. روي أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل. فسمع وهو يقول في سجوده: عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة فجعل يرددها حتى أصبح.

---

(1) راجع وفيات الأعيان لأبي بكر بن خلكان ج4 ص393 ترجمة 717 والفرق للدكتور أحمد مصباح ج1 ص55.

وكان سخياً كريماً. وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث له بصرة فيها ألف دينار، وكان يسكن المدينة المنورة، فأقدمه المهدي بغداد فحبسه، فرأى في النوم علي بن أبي طالب ﷺ وهو يقول: يا محمد: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴾ الآية. قال الربيع[1]: فأرسل إليَّ ليلاً فراعني ذلك فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية (وكان أحسن الناس صوتاً) وقال: علي بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه. وقال: يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في النوم يقرأ كذا. فتؤمنني أن تخرج عليَّ أو على أحد من أولادي؟ فقال: والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني. قال: صدقت: أعطه (يا ربيع) ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله في المدينة. قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً: فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق.

وأقام بالمدينة إلى أيام هارون الرشيد. فقدم هارون من عمرة رمضان سنة 179هـ فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه إلى أن توفي في محبسه. وقد ذكر البغدادي (الخطيب) أن هارون الرشيد حج فأتى قبر النبي ﷺ زائراً وحوله قريش، ورؤساء القبائل ومعه موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا رسول الله: يابن عم: افتخاراً على من حوله، فقال موسى: السلام عليك يا أبت. (مخاطباً رسول الله ﷺ) فتغير وجه هارون الرشيد وقال: هذا هو الفخر يا أبا الحسن حقاً. انتهى كلام الخطيب. ويظهر أن هذا هو السبب الذي حمل هارون أن يحمل معه موسى إلى بغداد ويحبسه. وزد على ذلك خوف هارون من موسى وشيعته.

وذكر المسعودي في (مروج الذهب)[2] فقال: ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي (وكان على دار الرشيد وشرطته) قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه

---

(1) هو الربيع بن أبي فروة (كيسان) من موالي بني العباس أبو الفضل وزير من العقلاء الموصوفين بالحزم اتخذه المنصور العباسي حاجباً ثم وزيراً. وكان مهيباً محسناً لإدارة الشؤون عاش إلى خلافة المهدي، وحظي عنده. ولد 111-169هـ 730-786م الأعلام ج3 ص39.

(2) المسعودي: هو الرحالة الكبير والمؤرخ الشهير أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي وكلامه المذكور في كتاب (مروج الذهب) ج2 ص274 طبعة كتاب التحرير.

قط. فانتزعني من موضعي. ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك منه. فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري. فأذن لي بالدخول عليه، فدخلت فوجدته قاعداً على فراشه، فسكت ساعة، فطار عقلي وتضاعف الجزع علي، ثم قال لي: يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟

قلت: لا والله، يا أمير المؤمنين.

قال: إني رأيت الساعة في منامي: كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة فقال لي: إن لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك في هذه الحربة. فاذهب فخل عنه.

فقلت يا أمير المؤمنين: أطلق موسى بن جعفر؟ (ثلاثاً).

قال: نعم امضِ الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر. وأعطه ثلاثين ألف درهم. وقل له: إن أحببت المقام عندنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة. فالأذن في ذلك إليك.

قال (عبد الله بن مالك): فمضيت إلى الحبس لأخرجه فلما رآني موسى وثب إليَّ قائماً وظن أني قد أمرت فيه بمكروه. فقلت: لا تخف. وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق إليك. وأعطيته الدراهم وخليت سبيله وقلت: لقد رأيت من أمرك عجباً. فهل لك أن تخبرني؟

قال: فإني أخبرك: بينما أنا نائم إذ أتاني النبي ﷺ فقال: (يا موسى حبست مظلوماً. فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس. فقلت: بأبي أنت وأمي ما أقول؟ فقال: (قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت! أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة، لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع

أبداً ولا يحصى عدداً فرج عني. فكان ما ترى). انتهى المسعودي[1].

كانت ولادة موسى الكاظم يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة 129هـ وتوفي لخمس بقية من رجب 183 هـ ببغداد. وقيل: إنه توفي مسموماً؛ ويظهر أنه بعد إخراجه من السجن أعيد فتوفي في الحبس كما قال الخطيب البغدادي ودفن في مقابر (الشونيزيه) وقبره هناك مشهور وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب[2] والفضة وأنواع التحف التي أجمل من أن توصف.

8 - علي الرضى[3]:

ولادته ووفاته 153 – 203 هـ = 770 – 818 م. عاش 50 عاماً.

هو أبو الحسن علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين. هو ثامن الأئمة الإثني عشر عند الإمامية. ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة المنورة، وكان أسود اللون، أمه حبشية، أحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة وزوجه ابنته أم حبيب عام 202 هـ وضرب اسمه على الدنانير والدراهم وكان ذلك في (مرو) حيث أحضر المأمون بني العباس، واستدعى علي الرضا فأنزله أحسن منزل، وجمع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب ﷺ فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا، فبايعه، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام الذي كان شعاراً للدولة العباسية، وأمر بالخضرة الذي اختاره للدولة الجديدة، وكتب بذلك إلى الآفاق. ويظهر أن ذلك كان من رأي الفضل بن سهل الفارسي الأصل؛ لأن الفرس يعجبهم أن يكون إمام المسلمين علوياً. وطالما قاتلوا في سبيل رجوع السلطان إلى بني علي. وهذه فرصة يأخذون فيها الخلافة من غير حرب ولا قتال، وساعدهم في ذلك ما كان يراه المأمون نفسه من تفضيل علي على غيره من الخلفاء الراشدين، وأنه كان أحق بالخلافة منهم.

---

(1) مروج الذهب ج2 ص274.

(2) راجع وفيات الأعيان ج4 ص394.

(3) سمي علي الرضا للرضى عن آل علي زمن المأمون.

وهذه الفكرة نشأت عند المأمون لأنه تربى في حجر جعفر بن خالد البرمكي. ثم انتقل إلى الفضل بن سهل وكلاهما من الشيعة[1]. بلغ ذلك أهل بغداد فاختلفوا وغضب بنو العباس، وثار كثير من القواد على المأمون تشيعاً لبني العباس، واتفقوا على خلع المأمون، ومبايعة عمه إبراهيم بن المهدي. وكان ذلك في أول المحرم عام 202هـ.

بلَّغ علي الرضا (ولي العهد) ذلك للمأمون، وكان علي الرضا يحب العافية. ويكره الفتنة، فارتحل المأمون من مرو إلى سرخس متوجهاً إلى بغداد بجيشه، حتى إذا بلغ (طوس) مات معه علي الرضا بعد أن أكل عنباً. ويقال بأن المأمون أو بعض أتباعه دس السم لعلي الرضا حتى مات. أما كون ذلك من قبل المأمون فهو بعيد جداً، ولا يبعد أن يكون من الأتباع. حتى إذا شاع خبر وفاة علي الرضا ثار القواد على إبراهيم بن المهدي وخلعوه. وعادت الأمور في مجراها، واختفى إبراهيم وكان ذلك في 17 ذي الحجة عام 203هـ. وظل إبراهيم مختفياً إلى عام 210هـ فقبض عليه وهو متنقب مع امرأتين في زي امرأة، وأحضر أمام ابن أخيه المأمون. فقال له: هيه يا إبراهيم: فقال (إبراهيم) يا أمير المؤمنين ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى. ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقك. وإن تعف فبفضلك. قال: بل أعف يا إبراهيم[2]. وهذا العفو ينبئ عن رجاحة عقل المأمون. وطيب طويته. ويا ليت سائر من تقدمه من الأمراء كانت معاملتهم مع الخارجين على دولتهم كمعاملة المأمون عمه لجمعت الكلمة والتأم الصدع[3]. وليست سياسة المأمون الحكيمة كانت مقتصرة بالعفو والإحسان إلى بني العباس فقط. بل شملت آل البيت جميعهم وخصوصاً آل علي بن أبي طالب. وكان يكن لهم كل تقدير واحترام، فقد عهد إلى علي الرضا بالخلافة من بعده وزوجه ابنته أم حبيب. ولكنه مات كما تقدم. ولم يعهد

---

(1) راجع الأعلام للزركلي ج5 ص178 ووفيات الأعيان ج2 ص432 وراجع محاضرات الخضري ج3 ص182.

(2) راجع محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري ج3 ص191.

(3) كان المأمون ألذ شيء عنده من الدنيا عفو على قدرة.

لغير علي الرضا من العلويين لما لقيه من ثورة العباسيين، فقد عهد لأخيه المعتصم. وقد جاء بوصيته للمعتصم وهو يجود بنفسه. (وهؤلاء بنو عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، واقبل من محسنهم، وصِلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها فإن حقوقها تجب من وجوه شتى).

ومع ذلك فقد زوج المأمون ابنته الثانية من محمد الجواد بن علي الرضا سالف الذكر.

9 - محمد الجواد :

ولد عام 195 وتوفي 220هـ. عاش 25 عاماً = 811م وتوفي 835م.

هو أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق: تاسع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية. كان رفيع القدر كأسلافه ذكياً طلق اللسان، قوي البديهة، ولد في المدينة المنورة، وانتقل مع أبيه إلى بغداد، فتوفي والده (علي الرضى) فكفله المأمون (حيث كان صغيراً) ورباه وزوجه ابنته (أم الفضل)، وكان يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال لي وهو يوصيني: (يا علي: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار. يا علي: عليك بالدلجة[1] فإن الأرض تطوي بالليل ما لا تطوي بالنهار. يا علي: اغد باسم الله: فإن الله بارك لأمتي في بكورها).

وكان محمد الجواد يقول: من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة. وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان عام 195هـ وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة عام 220هـ ببغداد ودفن عند جده موسى الكاظم بن جعفر ﷺ أجمعين وصلى عليه الواثق بن المعتصم[2].

---

(1) الدلجة: السير بالليل.

(2) راجع وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان ج3 ص315 ترجمة 533 والأعلام للزركلي ج7 ص155.

10 - علي الهادي :

هو أبو الحسن المعروف بالعسكري ولد 214 وتوفي 254هـ = 829-868م فيكون قد عاش 40 عاماً.

وهو الملقب بالهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم. عاشر الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصلحاء. ولد بالمدينة المنورة، ونشأ وترعرع بها. وعندما شب كان أمر الخلافة العباسية قد انتهى إلى المتوكل على الله. امتاز المتوكل عن سائر أهل بيته بكراهة علي بن أبي طالب ﷺ، وأهل بيته، وهذا ما يعرف في العقائد بالنصب وهو ضد التشيع، وكان يؤذي من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله، وكان فيما يقال يبغض ممن تقدمه من الخلفاء: المأمون، والمعتصم والواثق لمحبتهم علي بن أبي طالب وأهل بيته، وكان يجالسه جماعة اشتهروا بالنصب وبغض علي، فكانوا يخوفونه من العلويين، ويشيرون علي بإبعادهم، والإعراض عنهم والإساءة إليهم[1].

في هذه البيئة وجد التقي النقي أبو الحسن علي الهادي. فسعي به إلى المتوكل. وقيل له: إن في منزله سلاحاً وكتباً، وأن شيعته يترددون إليه وأنه يطلب الأمر لنفسه (والمتوكل أول من استخدم الأتراك في جيشه وحاشيته) فوجه إلى علي الهادي فرقة من الأتراك ليلاً، فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الحصى والرمل. فأخذ على الصورة التي وجد عليها، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل[2]، فمثل بين يديه، والمتوكل يشرب الشراب، فأجلسه إلى جنبه، وعظمه لما لم يكن في بيت علي الهادي شيء مما قيل عنه ولا حجة يتعلل عليه بها. عرض الخمر عليه فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني. فأعفاه وقال: أنشد شعراً استحسنته.

---

(1) راجع المحاضرات للخضري ص 258 ج3 ووفيات الأعيان لأبي بكر بن خلكان ج2 ص434 وراجع أيضاً الأعلام للزركلي ج5 ص 140.

(2) أي أدخل على المتوكل في الليل.

فقال: إني لقليل الرواية للشعر. قال لا بد أن تنشدني شيئاً. فأنشده هذه الأبيات وهي من البحر البسيط:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فأودعوا حفرة يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلَل[1]

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا

وطالما كنزوا الأموال وادخروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلوا

أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فأشفق من حضر على علي وظن أن يؤمر به بمكروه. ولكن المتوكل بكى من إنشاد علي بكاء كثيراً حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب. ثم قال: يا أبا الحسن: أ عليك دين؟ قال: نعم: أربعة آلاف دينار. فأمر بدفعها إليه. ورده إلى منزله مكرماً.

ولكن أهل (النصب)[2] كرهوا ذلك وجددوا السعايات في حقه عند المتوكل حتى أحضره من المدينة ثانية وأسكنه (سامراء)[3] وكانت معسكراً للمملكة[4] ولهذا قيل لأبي الحسن: (العسكري) وأقام بها عشرين سنة ومات فيها يوم الإثنين لخمس بقية

---

(1) جمع كلة وهي بكسر الكاف الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البق.

(2) تقدم أن أهل النصب أعداء علي وآله ضد التشيع.

(3) ويقولون عنها (سر من رأى).

(4) وقيل كانت سامراء تدعى بالعسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر. وقيل لأبي الحسن: العسكري. والملاحظ أن أبا الحسن لم يعش سوى 40 سنة ما يدرينا بأنه مات كأبيه مسموماً؟.

من جمادى الآخرة عام 254هـ. ودفن بها في داره رحمه الله تعالى رحمة واسعة[1].

11 - الحسن العسكري :

ولد عام 231 هـ وتوفي عام 260هـ إذن عاش 29 سنة.

هو أبو محمد الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الحادي عشر من الأئمة عند الإمامية والد محمد المهدي المنتظر عندهم.

ولد بـ (سر من رأى) حيث أشخص المتوكل أباه علياً إليها وأقام بها عشرين سنة فنسب إليها هو وولده هذا. وقيل عنه: (الحسن العسكري).

كان الحسن العسكري سيداً شريفاً فاضلاً نقياً كآبائه وأجداده. نشأ بسامراء وتزوج بها ورزق من الأولاد محمد المهدي، وتوفي بسامراء أيضاً في ريعان شبابه ودفن بجانب قبر أبيه. رحمة الله عليه رحمة واسعة.

12 - محمد المهدي القائم بالحجة :

ولد عام 256 – 275 هـ يكون عمره لما غاب 19 عاماً.

هو المهدي المنتظر عند الإمامية آخر الأئمة الإثني عشر، والمعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان، والمنتظر، والحجة، وصاحب السرداب. ولد في سامراء ومات أبوه (الحسن العسكري) وله من العمر نحو خمس سنين، ولما بلغ التاسعة عشر – على أصح الروايات – دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء كما يقولون ولم يخرج منه. والإثنا عشرية ينتظرون خروجه آخر الزمان فيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. والله أعلم[2].

---

(1) وفيات الأعيان ج2 ص 435.

(2) الأعلام لخير الدين الزركلي ج6 ص 309 ووفيات الأعيان لأبي بكر بن خلكان ج3 ص 316 ترجمة 534.

الأئمة الإثنا عشر (شجرة طيبة)

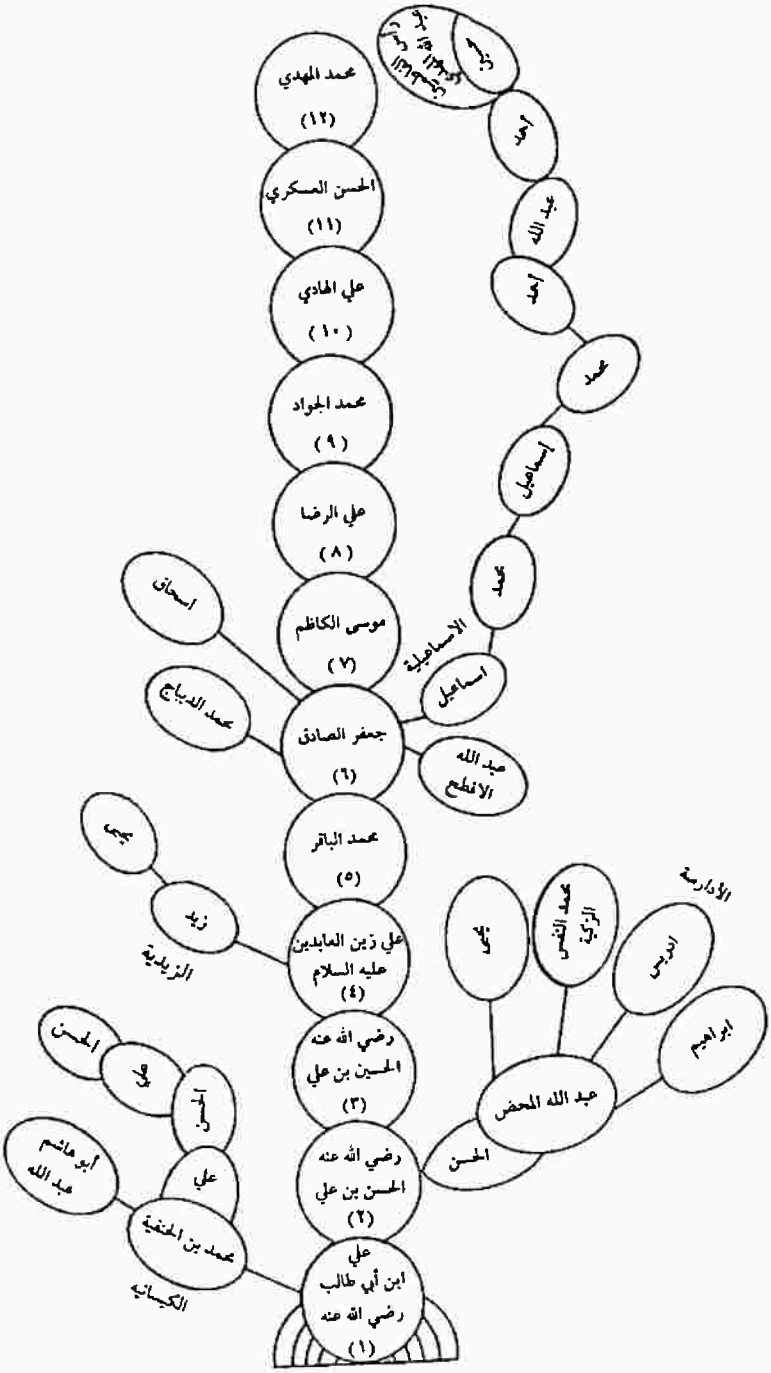

آراء الشيعة في الإمامة وأصول الدين

قدمنا أن الشيعة تنقسم إلى معتدلة ومتطرفة. وقد سبق الكلام على بعض المتطرفة، كما سبق الكلام عن الزيدية. وأما الاثنا عشرية فحقيقة أمرها، وروح عقيدتها بعيدة عما تورطت فيه فرق شيعية كثيرة. فهم يبرؤون من المقالات التي جاءت على لسان بعض الفرق كتأليه البشر والتقمص والحلول، ويعدونها كفراً وضلالاً. وهم كما يقول السيد كاشف الغطاء[1] أحد أئمتهم: (ليس دينهم إلا التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوقين، أو ملابسة لهم في صفة النقص والإمكان، والتغيير والحدوث، وما ينافي وجوب الوجود والقدم والأزلية، وبطلان التناسخ والاتحاد والحلول والتجسيم. ويزيدون على أركان العقيدة ركناً آخر هو الاعتقاد بالإمامة)[2]. وهم أكبر طوائف الشيعة الذين ظلوا يمثلون دورهم على مسرح الحياة إلى اليوم، وقد عرفوا بالإمامية لكثرة اهتمامهم بالإمام. وقد ركزوا تعاليمهم حوله. وفي رأيهم أن علياً هو الإمام الأول؛ فقد نص الرسول صلوات الله عليه وعلى آله على ولاية علي بالاسم وبالشخص. وإن الإمامة في بنيه من فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) وحدها بطريق التعيين. واحداً بعد واحد. وإذا كانت الإمامة قد حدد لها النبي هذا الطريق المرسوم فكل من وليها قبل علي أو نالها بعده من غير أبنائه من فاطمة فهو مغتصب.

---

(1) كاشف الغطاء: هو أحمد بن علي بن الرضا بن جعفر. فقيه من علماء الشيعة الإمامية ولد بالنجف عام 1295-1344هـ = 1878-1926م وتعلم في سامراء ودفن في النجف له كتاب سفينة النجاة وغيره (الأعلام).

(2) إنهم يعتقدون بأن الإمامة منصب إلهي كالنبوة والفرق أن النبي يوحى إليه والإمام لا يوحى إليه.

فقه الشيعة

لقد اعتمد أهل السنة والشيعة في فقههم على الكتاب والسنة النبوية. ومع ذلك كان الفرق واضحاً بينهم لما يأتي:

1 - باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً على مصراعيه عند الإمامية، وللمجتهد أن يبدي رأيه وأن يأخذ به مادام متفقاً مع الكتاب والسنة، متمشياً مع المعقول، وإلاَّ فلا قيمة له، إن كان به ميل أو شطط. على أن أهل السنة يضيقون باب الاجتهاد لعدم وجود الكفاءة. والشيعة لا يقولون بالقياس تبعاً لإمامهم جعفر الصادق كما مر.

2 - استمد الشيعة أحكامهم من القرآن المفسر تفسيراً شيعياً، ومن السنة المروية عنهم دون غيرهم. وهذا من شأنه أن يحصرهم في دائرة خاصة تتقلص فيها مصادر التشريع التي كانت لدى الآخرين على درجة كبيرة من الاتساع. وأهم كتاب عند الشيعة في الحديث (كتاب الكافي في علم الدين) لمحمد بن يعقوب الكليني وبه ستة عشر ألف حديث، قسمها إلى صحيح وحسن وضعيف، وجميعها مروية عن أهل البيت ومن والاهم دون غيرهم، ليس فيها شيء عن أبي بكر وعمر أو أبي هريرة وعائشة أو غيرهم من المتهمين بعدم الولاء لعلي بن أبي طالب ﷺ.

3 - إن الشيعة أنكروا الإجماع العام كأصل من أصول التشريع لأنه يؤدي إلى الأخذ بأقوال غير أهل البيت والموالين، كما أنكروا القياس كما تقدم لأنه رأي، والدين لا يؤخذ بالرأي وأنكروا الإجماع فالدين عندهم يؤخذ من الله ورسوله والأئمة المعصومين، فنصوص الأئمة كالنصوص من قبل الشارع لا مجال لمناقشتها. لهذا كله بدا الاختلاف واضحاً بين فقه أهل السنة، وفقه الشيعة، ولياليها تعقد مؤتمرات علمية بين الطرفين يناقش فيها الفقه بروح رياضية بعيدة عن التعصب لوصل الجميع إلى الاجتماع بعد التفرقة. وعلى كل كان من الاختلاف على أدلة التشريع وكيفية الأخذ منها اختلاف واضح في الفروع، وأهمه ما يلي:

نكاح المتعة

ويسمى النكاح المنقطع: وهو أن يتعاقد الرجل مع امرأة على أن يتزوج بها بأجر

معين إلى أجل مسمى كأن يقول لها: (زوجيني نفسك بكذا لمدة شهر مثلاً) فتقول (زوجتك نفسي على ذلك) أي بدون ولي ولا شهود.

وهذا النوع من النكاح لا توارث بسببه بين الزوجين، لأنه مؤقت ينتهي عند انتهاء أجله. وأما إن حدث ولد فنسبه ثابت ويرث.

ولا حاجة في هذا النكاح إلى شهود ولا طلاق، والعدة في المتعة حيضتان لمن تحيض، وخمسة وأربعون يوماً لمن لا تحيض.

وأما الصغيرة واليائسة فلا عدة لهما عند الإمامية في النكاحَيْن الدائم والمنقطع، ولا حد لعدد النساء المتمتع بهن، فله أن يتمتع بما شاء، بخلاف النكاح الدائم فليس له أن يزيد على أربع.

نكاح المتعة عند أهل السنة

ثبت أن النبي ﷺ أحل نكاح المتعة عام الفتح، كما ثبت أنه نهى عن المتعة عام الفتح أيضاً[1] واختلف هل نهى عنها يوم خيبر أو قبل ذلك. والصحيح أن الإباحة لم تستمر طويلاً، فقد نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المعارج: 29-31] والآية تنص على أن الجماع محرم إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، والمتعة ليست بنكاح إذ هي ترتفع بغير طلاق، وليست بملك يمين.

وظاهر كلام ابن مسعود إباحتها[2] فإن في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء. فقلنا يا رسول الله! ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك. ثم رخص لنا بعد ذلك أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل) ثم قرأ عبد الله

---

(1) راجع زاد المعاد في هدي خير العباد للحافظ أبي عبد الله ابن قيم الجوزية ج4 ص 7.

(2) كما يقول ابن قيم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: 87].

وفي الصحيحين عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ حرم متعة النساء. ولكن النظر هل هو تحريم بتاتاً، أو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح الأمة فيباح عند الضرورة وخوف العنت؟

هذا الذي لحظه ابن عباس، وأفتى بحلها للضرورة، فلما توسع الناس فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة أمسك عن فتياه ورجع عنها على ما روي عنه والله أعلم. ومن أدلة أهل السنة على التحريم ما أخرجه أحمد ومسلم بسندهما إلى سبرة الجهني أنه غزى مع رسول الله ﷺ في فتح مكة قال: فأقمنا بها خمسة عشر (يوماً) فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء فلم أخرج حتى حرمها. وفي رواية عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً».

أما الشيعة فقد أباحوا المتعة وباشروها بكثرة في أسفارهم، ولم يقفوا عند حد الإباحة بل عدوها قربة. كما أسندوا إلى جعفر الصادق أنه قال (ليس منا من لم يستحل متعتنا، ويؤمن برجعتنا). وذكر صاحب الكافي أن محمد الباقر سئل عنها فقال: أحلها الله في كتابه وسنة نبيه، نزلت في القرآن ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: 24] فهي حلال إلى يوم القيامة.

والشبهة إنما دخلت على الشيعة من لفظ الاستمتاع والأجر، ولكن أهل السنة أبوا ذلك وقالوا: سياق الآية دال على أنها واردة في النكاح الدائم. وأما تسمية المهر أجراً فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: 25] أي مهورهن.

والآية بالتخريج السني لا تنهض دليلاً على ما يزعمه الشيعة؛ فقد قيل للإمام محمد الباقر رحمه الله تعالى: أيسرك أن نساءك وبناتك وأخوتك وبنات عمك يفعلن ذلك؟ فأمسك رحمه الله عن الجواب. مع أن الشيعة يعترفون بصحة ما ورد عن علي كرم الله وجهه من أن النبي ﷺ نهى عن المتعة يوم خيبر إلا أنهم يقولون: إنها وردت من علي مورد التقية.

ومما خالف فيه الشيعةُ أهل السنة أنهم يقررون أن الفرض في الغسلات مرة، والثانية سنة والثالثة بدعة، ويجوز المسح على القدمين بدون خفين ويجيزون للمصلي تشميت العاطس، وصلاة الجنازة عندهم خمسة تكبيرات وليس الطهارة شرطاً فيها. ولا يجيزون نكاح اليهودية والنصرانية، ويقولون: إن ما استدل به أهل السنة وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾. ولهم في الإرث خلاف طويل، فهم ينكرون العول، فإذا مات عن زوجة وبنتين وأم وأب. فالمسألة من أربع وعشرين تعول إلى سبع وعشرين عند أهل السنة. وعند الشيعة: تأخذ الزوجة (3) والأبوان (8) والباقي للبنتين وهو (13) بدلاً من (16) وصلاة الإمامية كصلاة أهل السنة تقريباً إلاَّ الجمعة، فإنها معطلة لغيبة الإمام. وأما مسائل أصول الدين، فقد قال الشيعة في كثير منها بقول المعتزلة.

إن الاثنا عشرية يجيزون تزوج البنت على خالتها أو عمتها بشرط الإذن منهما. كما يجيزون أن يتزوج الرجل العمة على بنت أخيها والخالة على بنت أختها بدون إذن.

وإنهم لا يعتبرون الرضاع محرماً إلا إذا بلغ خمس عشرة رضعة متواليات من امرأة واحدة، من لبن زوج واحد.

وإنهم يرون الطلاق الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة كما اعتبر ذلك ابن تيمية[1].

---

(1) راجع كتاب تاريخ التشريع الإسلامي لفضيلة الشيخ محمد السايس وزميليه ص 226-227.

التقية

التقية: معناها المداراة؛ وهي بأن يحافظ الشخص على ماله وعرضه ودمه بالتظاهر. بخلاف ما يبطن. فهذه التقية معترف بها عند أكثر فرق الشيعة. حتى وقال بها بعض فقهاء السنة عند الضرورة القصوى[1].

الإسماعيلية

وهنا أذكر لمحة موجزة عن الفرع الثاني المهم من فرعي الشيعة التي تفرعت عن جعفر الصادق رحمه الله، وهي فرقة الإسماعيلية، وتنسب إلى إسماعيل بن جعفر الذي أوصى إليه أبوه بالإمامة، ولكن إسماعيل توفي في حياة أبيه جعفر على أصح الروايات كما تقدم. لذلك انتقلت (الاثنى عشرية) إلى موسى الكاظم. أما الإسماعيلية فإنهم انتقلوا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ لأن الإمامة عندهم لا تكون إلا في الأعقاب، ولا يجوز أن تنتقل من أخ إلى أخيه إلا في حادثة وحيدة في تاريخهم، وهي انتقالها من الإمام الحسن إلى الإمام الحسين رضي الله عنهما. وللإسماعيلية تأويل من القرآن يتذرعون به، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: 28] وعلى ذلك رفضوا إمامة موسى الكاظم، وأيضاً قالوا: إن محمد بن إسماعيل كان أسن من عمه على أن بعض الإسماعيلية أنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه. وقالوا: إنه مات بعد أبيه بخمسة أعوام، وقد أظهر أبوه موته من قبيل التقية خوفاً على حياته، وأن أباه أشهد على وفاته خوفاً من مطاردة العباسيين[2] وهؤلاء زعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم، وهذه الفرقة تنتظر إسماعيل بن جعفر. ومهما كان فإن فرقة الإسماعيلية لعبت دوراً بارزاً خطيراً في الميدانين: العقائدي والسياسي. واستمر دورها بضعة قرون من الزمن في المشرق والمغرب

---

(1) راجع فجر الإسلام لأحمد أمين 274.

(2) راجع في ذلك إسلام بلا مذاهب ص 218 وكتاب مذاهب الإسلاميين. ج 2 ص 87 والملل والنحل ج2 ص 5.

على السواء. ولكن لم يبرز دورها في عالم الوجود إلا بعد موت إسماعيل بقرن من الزمن. وأول نشاط باسم الإسماعيلية ظهر هو نشاط القرامطة:

القرامطة

القرامطة ينسبون إلى رجل يقال له حمدان قرمط[1] وكان القرامطة في الأصل فرقة من الإسماعيلية ثم خالفوهم. وقالوا: لا يكون بعد رسول الله ﷺ غير سبعة أئمة. وهم علي بن أبي طالب ﷺ. والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي، وجعفر الصادق ومحمد بن إسماعيل، وهو الإمام القائم، وهؤلاء تطرفوا كثيراً بالعقيدة والسياسة على السواء[2] ففي فترة من تاريخهم ترأسهم رجل يقال له (أبو سعيد الحسن الجنابي) نسبة إلى بلدة (جنابة) في فارس[3] نفي أبو سعيد من بلده فسكن البحرين، فأقام بها تاجراً ولكنه دعا إلى فتنته فاستجابه أهل البحرين وما والاها فقوي أمره وجعل يقتل ويسلب حتى خافه الناس في البصرة، والكوفة، وأرسلت إليهم الدولة العباسية جيوشها التي كانت تنهزم أمام القرامطة. قتل أبو حسن الجنابي في إحدى المعارك عام 301 هـ بعد أن استولى على سائر بلاد البحرين وكان قد ولى ابنه (أبا طاهر سليمان الجنابي) فتابع مسيرة أبيه فهاجم البصرة عام 311هـ فدخلها بعد قتل حاميتها، ووضع السيف في أهلها وأقام بها سبعة عشر يوماً يحمل منها ما يقدر عليه من المال والأمتعة والنساء والصبيان ثم عاد إلى بلده ومنها توجه إلى طريق الحجاج، فالتقى بقافلة منهم فأوقع فيهم القتل والسلب. ثم إن القرامطة عاثوا في الأرض فساداً، في كل مكان دخلوه، فنهبوا وسبوا الأعراض وقطعوا السبيل.

---

(1) هو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط بن عبد الله بن ميمون القداح المنسوب أصلاً إلى زنادقة المجوس. راجع إسلام بلا مذاهب ص 224 وراجع مذاهب الإسلاميين ج2 ص 101.

(2) زعموا أن الله جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم. ومعناها عندهم إباحة المحرمات وجميع ما خلق الله في الدنيا وهو قول الله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (2-35) ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي موسى الكاظم وولده من بعده.

(3) جنابة من سواحل فارس يدخل إليها في المراكب في خليج من البحر الفارسي. ويظهر أن أبا سعيد زعيم القرامطة مجوسي مصر على ديانته اعتنق الإسلام تخريباً.

وفي عام 317 فعل (أبو طاهر سليمان الجنابي) وقرامطته. ما هو أشنع وأدهى. وذلك بأنه سار بجنده إلى مكة المكرمة، فوافاها يوم التروية، فلم يرع حرمة البيت الحرام، بل نهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام، وفي البيت نفسه. وقلع الحجر الأسود وأرسله إلى هجر فخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقتلهم أجمعين، وقلع باب البيت، وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير تغسيل ولا صلاة ولا كفن، وأخذ كسوة البيت فوزعها على أصحابه، ونهب دور أهل مكة البلد الحرام، فاستحل الحرمة وداس الكرامة. فلم يحصل في التاريخ أن انتهكت حرمة هذا البيت المقدس إلى هذا الحد.

وبعد أن رحل إلى هجر: أرسل إليه المهدي عبيد الله العلوي[1] ينكر عليه ما فعل ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول: (قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت) عندها رد الحجر الأسود إلى مكانه (أي بعد 22 سنة من 317 إلى 339) ورد بعض الأموال[2]. [كان ردّ الحجر الأسود بعد وفاة المهدي عبيد الله العلوي بتسع عشرة سنة؛ لأن وفاته كانت سنة 322 وكذلك بعد هلاك أبي طاهر بسبع سنوات. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي] هذا الذي جعل تاريخ القرامطة تاريخاً أسوداً، وتبرأت منهم العلوية والإسماعيلية. وظل (أبو طاهر) قوياً مسيطراً إلى أن هلك في رمضان عام 332 بالجدري[3] وتولى الأمر بعده إخوته الثلاثة، واستولوا على دمشق فترة من الزمن وحاولوا الاستيلاء على مصر لكن المعز الفاطمي استطاع صدهم، وأخيراً هزموا واضمحلوا في أواخر القرن الرابع الهجري على يد صمصام الدولة حسين بن يوسف بعد أن هاجموا الكوفة. وكذلك هزمهم رجل يقال له الأصفر من بني المنتفق في عقر دارهم وذلك عام

---

(1) عبيد الله بن محمد الحبيب هو مؤسس الدولة الفاطمية. وكانت القرامطة تابعين له. فتبرأ منهم. الأعلام للزركلي ج4 ص 352.

(2) راجع هذا البحث في محاضرات الخضري ج3 ص 318، ص 350 وراجع كتاب مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ج2 ص 92.

(3) الكامل للمبرد.

378هـ وحل الأصفر محل القرامطة في التعرض للحجاج[1].

الإسماعيلية والدولة الفاطمية

إذا اعتبرنا القرامطة قد انشقوا عن الإسماعيلية، فقد ظهرت الإسماعيلية كحركة سياسية في اليمن. واستطاع (الحسين بن حوشب)[2] أن يجمع حوله الأنصار ويؤسس أول دولة إسماعيلية في التاريخ في اليمن ثم وصل نشاطها إلى شمال إفريقيا وكان ذلك عام 266هـ.

ولكن المؤسس الحقيقي لدولة الإسماعيليين بشمال إفريقيا هو عبيد الله المهدي[3] كان عبيد الله ذا شخصية فذة في رسم ملكه وبناء دولته الجديدة.

فأرسل الدعاة إلى شمال إفريقيا، وكان صارماً في حكمه. فلما رأى داعيته أبا

---

(1) راجع ابن الأثير ج7 ص 176 ولما كان ابتداء أمر القرامطة في البحرين عام 286 وانقراضهم 378 تكون دولتهم ظلت مهيبة الجانب مائة سنة تقريباً.

(2) داعية من دعاة الإسماعيلية في اليمن.

(3) يوجد في نسب عبيد الله الملقب بالمهدي اختلاف كثير. يقول صاحب تاريخ القيروان، هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر. وهذا ليس بصحيح لأن الإسماعيلية - إن صح نسبه - من نسل إسماعيل لا من فرع موسى. وقيل عبيد الله بن محمد بن الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم. والرأي السائد أنه من سلالة (ميمون القداح) واسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح. ومعروف أن ميمون القداح كان من دعاة الإسماعيلية هو وأولاده ثم ما لبثوا أن اغتصبوا الأمر لأنفسهم. وهم ينتسبون أصلاً إلى زنادقة المجوس. والمصريون تنبهوا إلى هذه الثغرة في نسب الفاطميين. وقال أحد الشعراء يهجو المهدي:

فمن أنت يا مهدي السفاهة والخنى ... أبنْ لي فقد حقت على وجهك الديب

فلو كنت من أولاد أحمد لم يغب ... عن الناس ما تسمو إليه من النسب

كان المهدي يسكن بالسلمية قرية من حماه (سورية) وكان أبوه أرسل الدعاة إلى شمال إفريقيا مستتراً ودعاته تبشر بظهور المهدي المنتظر فتنبهت له الدولة فهرب إلى شمال إفريقيا. فوجد هناك أنصاره الذين هيأهم له الدعاة وأسس دولة هناك عام 297 هـ راجع الأعلام للزركلي ج4 ص 101 ترجمة 330 وإسلام بلا مذاهب ص 221 ولد بالسلمية أو بالكوفة عام 260 وتوفي عام 322.

عبد الله الشيعي الصنعاني[1] أظهر شكه في شخصيته قتله وقتله أخاه أبا العباس. وهذا من جملة ما حمل المؤرخين على الشك بنسبه، بل هناك من ينكر صلة عبد الله المهدي بالإمام إسماعيل بن جعفر، رأس الإسماعيلية إنكاراً تاماً ويذهب إلى القول بأن عبيد الله ليس إلا ابناً لرجل يهودي كان حداداً بسلمية، فلما مات ذلك الحداد تزوجت أرملته أحد الأشراف العلويين فتربى الغلام ابن الحداد في منزله فلما كبر اتخذ لنفسه النسب العلوي. وهو عبيد الله المهدي المذكور. أو هو منسوب إلى ميمون القداح الذي كان هو وأبناؤه من دعاة الإسماعيليين وأصلهم من زنادقة المجوس، ثم اغتصب الأمر لنفسه[2] وعلى كل حال فإن الإسماعيليين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم (الفاطميين)، وكان يطلق عليهم (العبيديون) نسبة إلى عبيد الله، قد نشطت بشمال إفريقيا دعوتهم، وكثر دعاتهم، حتى أقاموا خلافة طويلة عريضة امتدت من المحيط الأطلسي حتى السويس. وشملت شمال إفريقيا ومصر والشام وجنوب إيطاليا. وظل أمرهم في علو وازدهار حتى زالت دولتهم في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي. وأشهر سلاطينهم كانت فترة حكمهم كما يلي:

نذكرهم إجمالاً لأن غايتنا ليست سياسية.

الفاطميون في المغرب ومصر

1 - عبيد الله المهدي من عام 297- 322هـ.

2 - القائم بأمر الله (أبو القاسم محمد بن عبيد الله) من عام 322-334هـ.

3 - المنصور (أبو طاهر إسماعيل بن القائم) من عام 334-341هـ.

4 - المعز لدين الله (معد بن إسماعيل)[3] من عام 341-365 وهو الذي دخل مصر وقضى

---

(1) أبو عبد الله الصنعاني وأخوه أبو العباس من صنعاء اليمن أتيا داعيين لدولة الإسماعيليين في شمال إفريقيا.

(2) كامل حسين ص 26 الدولة الفاطمية حسين إبراهيم ص 64.

(3) لما بويع المعز بالخلافة جهز وزيره القائد جوهر وأصحابه بجيش كثيف ففتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب. فانقادت له بلاد إفريقية كلها ما عدا سبتة وجاءت الأخبار بوفاة كافور الأخشيدي (صاحب مصر) فأشار المعز إلى القائد جوهر بالسير إلى مصر فدخلها فاتحاً عام 358هـ وأسس القاهرة عام 359هـ والأزهر الشريف. الأعلام للزركلي ج7 ص 179.

بها ثلاث سنوات. وكان قائد جيوشه (جوهر صقلّي) الشخصية الممتازة التي اعتادت النصر في جميع المعارك. وهو الذي أسس القاهرة. والأزهر الشريف.

5 - العزيز بالله (نزار بن معد) 365-386هـ، 975-996م[1].

6 - الحاكم بأمر الله (هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله) من عام 386-411هـ والذي يعنينا الوقوف عنده، هو الحاكم بأمر الله للأحداث الدينية التي كانت بزمنه. كان الحاكم متناقضاً مع نفسه، بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام. ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الإصلاح وقتل للصلحاء، وأمر بسب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ وكتب سبهم على الجدران ثم محى ذلك بضغط من الشعب، وكانت سياسته القتل والإرهاب، وتشدد في معاملة النساء ومنعهن الخروج من البيوت وأمر الحذائين بعدم صنع أحذية للنساء إلى أن ختم تناقضاته بادعائه الألوهية[2].

فقد ظهر بالقاهرة عام 408هـ رجل يدعى (حمزة بن علي الزوزني) دعا إلى ألوهية الحاكم وكان لحمزة أتباع دعاة أعظمهم رجلان أحدهما (حسن بن حيدر الفرغاني) والآخر (محمد بن إسماعيل الدرزي). وكانت الدعوة التي قام بها هؤلاء هي دعوى التناسخ والحلول، والزعم بأن روح آدم قد انتقلت إلى علي بن أبي طالب، ثم انتقلت منه إلى الحاكم صفوة سلالته[3] وتطورت هذه الدعوة حتى اقتحم دعاتها المساجد وفاجأوا قاضي القضاة في مسجد عمرو بن العاص[4] (ﷺ) وأرادوا حمله على قبولها فثار الناس وتجمهر المسلمون وقتلوا الدعاة الملاحدة، ولكن الحاكم أعدم القاتلين. ويقال بأن الدرزي هرب إلى الشام، وأذاع فيها دعوته فكانت أصل مذهب الدروز المبني على فكرة التناسخ والحلول. ولنا عودة إلى مذهب الدروز. إن شاء الله تعالى.

---

(1) راجع في ذلك خطط المقريزي ج1 ص 425.

(2) راجع مذاهب الإسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوي ج2 ص 557.

(3) راجع سلسلة التاريخ الإسلامي ج1 ص 71 نقلاً عن النجوم الزاهرة ص 184 لأحمد مصباح.

(4) مسجد عمرو بن العاص في مصر القديمة. وكانت تدعى الفسطاط.

وانتهى أمر الحاكم باغتياله، كما انتهى حكم الفاطميين (الإسماعيلية) على يد صلاح الدين كما تقدم.

أبرز عقائد الإسماعيلية

الإسماعيلية والدروز وسائر الباطنية يصفون أنفسهم بأنهم الموحدون حقاً ويحاولون دائماً التوكيد على التوحيد، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ولعل السبب في ذلك أنَّ أهم طعن يوجه إليهم من قبل المذاهب الإسلامية الأخرى هو أنهم أشركوا بالله الواحد الأحد، وأنهم قالوا بالحلول (حلول روح الله في الأئمة) فنرى الإسماعيلية والدروز يحرصون دائماً على توكيد معنى التوحيد، ولكنهم في نفس الأمر يقولون بأن لكل ظاهر باطناً. وأن لكل تنزيل تأويلاً؛ تأويلاً ظاهراً وتأويلاً باطناً. ولذلك فإن من أسمائهم: (الباطنية). فتأويل الإسماعيلية الظاهر للقرآن وللإيمان يقارب كثيراً إلى تأويل أهل السنة. وقد جعلوا من شروط الإيمان أن يؤمن الإسماعيلي بالظاهر والباطن معاً، والإيمان بواحد منهما دون الآخر يعتبر خروجاً عن المذاهب وكفراً به. ولقد قال الشيرازي[1] الداعي: (من عمل بالباطن والظاهر معاً فهو منا، ومن عمل بأحدهما دون الآخر فالكلب خير منه). والإسماعيلية ينكرون صفات الله تعالى، ويعللون ذلك بأنه فوق متناول العقل. فيقولون: لا نقول هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز على ذلك لا يقولون بالإثبات المطلق، ولا بالنفي المطلق، وليس هو بالقديم كما ليس بالمحدث؛ فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته[2].

(1) هو داعي الدعاة هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي ولادته ووفاته 391-470هـ راجع مذاهب الإسلاميين ج2 ص 209.

(2) الملل والنحل ج1 ص 172.